

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

شكر و عرفان

نتوجّه بجزيل الشكر إلى أستاذنا المشرف
"أوموادن رابح" على توجيهاته ونصائحه
القيّمة، من أجل إنجاز هذا البحث وإخراجه إلى
النور.

كما نشكر السادة أعضاء اللجنة المناقشة
الذين تحمّلوا عناء قراءة هذه المذكرة.
ونشكر أيضا الأساتذة الذين أشرفوا على
تدريسنا طوال سنوات الدراسة.

لكم منّا تقدير واحترام



الإهداء

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق
الله، بادئ ذي بدأ أحمد الله عز وجل الذي وفقني
وقدر لي تكملة هذا العمل " الحمد لله " .

أهدي ما اجتنيت من جهد هذه الدراسة إلى:
التي حملتني ومنحتني الحياة، وأحاطتني بحنانها
" أمي الغالية " التي حرصت على تعليمي بصبرها
وتضحيتها في سبيل نجاحي.

إلى أبي العزيز الذي دعمني في مشواري
الدراسي منذ خطواتي الأولى إلى الجامعة.

كما لا يفوتني أن أخص إهدائي بذكر أختي
الصغيرة " آية "، وإلى كل العائلة، كما أهدي
عملي المتواضع إلى كل صديقاتي خاصة التي
شاركتني العمل " مونية "، وإلى الأستاذ المشرف
" أوموادن رابح " .

إلى جميع طلبة وأساتذة وعمّال معهد اللغة
العربية وآدابها بجامعة مولود معمري بتيزي وزو.

فروجة



الإهداء

إلى أعزّ ما في القلوب وأغلى ما في الوجود
التي وهبت لي الحياة، إلى منبع الجنّة أمي أطال
الله في عمرها بمزيد من الصّحة والعافية إن شاء
الله.

إلى من كان السّبب الرّئيسي في وصولي إلى
المستوى، مثالي الأعلى أبي الغالي رحمه الله
متمنّية من الله عزّ وجلّ أن يتعمّد روحه بمزيد من
المعرفة والأجر والثّواب.

إلى اللّواتي يسري دمّهن في عروقي أخواتي:
نادية، كريمة، فازية، خاصّة فريدة التي نفّذت
رسالة أبي متحديّة في ذلك كلّ
الصّعوبات، وأخواني عبد النّور ورفيق وفاهم
وأولاده متمنّية لهم الصّحة والعافية.

مونية



مَقَدِّمَةٌ

مقدمة:

بسم الله الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَوْفِيقِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

يُعَدُّ تَخَصُّصُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابُهَا مَجَالًا ثَرِيًّا بِالْمَعَارِفِ، كَوْنِ هَذِهِ اللُّغَةِ حَفْظَهَا اللَّهُ تَعَالَى، إِذْ نَزَلَ كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَلِّ وَعَلَا بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ، بِمَا فِي ذَلِكَ مَسْتَوِيَاتِهِ الصَّرْفِيَّةَ الدَّلَالِيَّةَ، وَالصَّوْتِيَّةَ الدَّلَالِيَّةَ، وَالْمَعْجَمِيَّةَ الدَّلَالِيَّةَ، وَالنَّحْوِيَّةَ الدَّلَالِيَّةَ، الَّتِي تَمَثَّلُ الْمَجَالِ الْأَشْمَلِ لِمَوْضُوعِ الْعَطْفِ الَّذِي تَسْهَمُ أَسَالِيْبُهُ الْمَتَنُوعَةُ فِي تَوْكِيدِ اتِّصَالِ الْمَعْنَى وَالذَّلَالَاتِ وَتَمْيِيزِهَا عَمَّا انْفَصَلَ مِنْهَا دَاخِلَ التَّرَاكِيْبِ وَالسِّيَاقَاتِ، حَيْثُ تَبْرُزُ الطَّاقَاتُ التَّعْبِيرِيَّةُ لِلْكَلامِ مِنْ خِلَالِ الْمَسَالِكِ الْمُتَشَعَّبَةِ وَالدَّقِيقَةِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ وَفْقَهَا أَسْلُوبُ الْعَطْفِ سِوَا عَلَى صَعِيدِ الْكَلِمَاتِ أَوْ التَّرَاكِيْبِ، وَمَنْ ثَمَّ كَانَ لِبَلَاغَةِ الْعَطْفِ حِظًا وَافِيًا فِي بَيَانِ الْقِيَمَةِ الْفَنِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ لِلنَّصُوصِ، وَبِالْأَخْصِ عِنَّمَا يَتَعَلَّقُ الْبَحْثُ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي تَرْتَفِعُ بِلَاغَتُهُ إِلَى حَدِّ الْإِعْجَازِ.

لقد آثرنا البحث في موضوع بلاغة العطف في القرآن الكريم واخترنا لذلك أنموذجا من سوره، فجاءت صياغة موضوع البحث وفق ما يلي:

بلاغة العطف في القرآن الكريم (سورة الزخرف) أنموذجا

فهذه السورة التي اخترناها مسكونة بأساليب العطف التي تعمل على ربط معاني الآيات، وما تمثله من دور فائق في بروز العدول عن المعاني الأصلية إلى الفرعية، والتي بدورها تحدث أثرا بلاغيا متناسقا وفق سياق الآيات.

لم يرد موضوع هذا البحث من العدم، بل بعد الاطلاع على بعض الدراسات السابقة المماثلة لهذه الدراسة، وإن لم تكن على منوالها تماما نذكر منها:

" بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية " لـ " عفت الشراوي "، والذي تناول

العطف في جانبه البلاغي، وقد أشار فيه إلى موقف الجرجاني الذي قام بتحليل عطف الجمل، من حيث تمام الصلة أو انقطاعها، إلا أنه أغفل جانب عطف المفردات، وحاولت

هذه الدراسة ردّ الاعتبار لعطف المفردات، وبيان ما لها من بلاغة في القرآن الكريم. بالإضافة إلى دراسة " بلاغة الكلمة في التعبير القرآني " لـ " فاضل صالح السامرائي "، والذي انصبّ اهتمامه حول بلاغة الكلمة الواحدة في القرآن الكريم، والتي غاب عنها الاهتمام من قبل الدارسين، فتوصّل إلى أنّ مواضيعها متعدّدة الأطراف. وكذلك الاطلاع على دراسة " أثر دلالات حروف العطف في التفسير دراسة نحويّة دلاليّة "، من إعداد " طارق قريش "، تحت إشراف " صلاح الدين ززال "، والذي درس الاختلافات التي تطرأ على حروف العطف، والانزياحات التي تكون من المعاني الأصليّة إلى الفرعيّة.

ومن هذا المنطلق تبلورت الإشكاليّة الجوهريّة المتمثّلة في:

كيف ورد الأثر البلاغي الذي خلّفته دلالات أساليب العطف في القرآن الكريم؟
والتي بدورها تتفرّع إلى أسئلة فرعيّة:

1- ما علاقة البلاغة بالعطف؟

2- هل يترك أسلوب العطف عن المعنى الأصلي أثر بلاغي؟

كما أنّ اختيار هذا الموضوع لم يكن من قبيل الصدفة، إنّما أمله عدّة أسباب تمّ العكوف عليها، منها الموضوعيّة فكون اللّغة مرتبطة بالأدب تمّ اختيار له صلة بالمستوى النّحوي في اللّغة، كما له صلة بالمستوى البلاغي في الأدب، وقد كان للقرآن الكريم دور في العودة إليه، فكان مصدرا بارز التطوير لهذه العلوم، أمّا الأسباب الذاتيّة تتمثّل في خدمة القرآن الكريم واللّغة العربيّة.

وفي هذا الصّدّد محاولة لإزالة الغموض الذي تراكم على كثير من عقول الأجيال الصّاعدة الذي حجب عنها الصّوء، تتّضح أهميّة البحث في كونه يعالج الأدوات التي يعتمد عليها النّص اللّغوي في نسج جملة وربط فقراته، ويظهر ذلك جليّا ضمن الشّواهد القرآنيّة ذات البعد المجازي التي تمّ الوقوف عليها، فهي تحوي الكثير من هذه الأدوات، كما تمثّلت أهميّة هذا البحث في السّعي من أجل خدمة اللّغة العربيّة، بالإضافة إلى محاولة إظهار

علاقة أساليب العطف بالبلاغة القرآنية، وذلك بالاقتران بمبدأ الوصل بين النحو والبلاغة في ضوء القرآن الكريم، كونه المرجع الأول والأساسي للتقعيد الشرعي واللغوي، لحلّ الخلافات التي تحدث بين أهل العلم، أثناء دراسة مسألة علمية ولم يتوصلوا إلى نتيجة موحدة فيستعينون بالقرآن، وهذا راجع إلى ميزة القرآن القدسيّة والمنتزّه عن الخطأ، والذي لا تنقضي عجائبه، إذ لم يعزب عن المفسرين ذوي النزعة اللغوية في مدوّنتهم محور من محاور اللّغة العربيّة المتراصّة في ثنايا التّركيب القرآني ونصوصه، فلم يتعافلوا عمّا أفرّه الجانب النّحوي من أسرار بلاغية في القرآن.

وفيما يخصّ الإجابة عن الإشكاليّة الأساسيّة والأسئلة الفرعيّة التي سبق أن ذكرناها، سنحاول معالجتها وفق تقسيم هذا الموضوع إلى:

مقدمة، والتي اقتضت تعريفا بالموضوع، ليتمّ إدراج الدراسات السابقة التي أدت إلى طرح الإشكاليّة والأسئلة الفرعيّة، بالإضافة إلى ذكر الأسباب التي أدت إلى اختيار موضوع البحث لتليها الأهميّة، ولم نغفل عن ذكر المنهج المتّبع كما تمّ ذكر بعض الصّعوبات وراء هذا البحث.

الفصل الأوّل والمعنون بـ "العطف في الدرس البلاغي قديما وحديثا" والذي تناولنا فيه المفاهيم الأساسيّة التي تساعدنا على تحليل المدونة، وهو ينقسم إلى مبحثين: **المبحث الأوّل: حول الدرس البلاغي:** وتدرج تحته خمسة مطالب تناولنا فيها تعريف البلاغة، وبيان الفرق بينها والفصاحة، ثم نشأتها، والقضايا التي تهتم بها البلاغة قديما وحديثا، ثم حاولنا الوقوف على علاقة البلاغة ببعض العلوم المتاخمة لها كالنحو واللسانيات من أجل توسيع آفاق الدرس والبحث في العطف من زوايا مختلفة. أما **المبحث الثاني:** فكان حول أسلوب العطف، تعريفًا، وتقسيمًا ووقوفًا على دلالاته المختلفة والأحكام التي تعترى تحولاته الدلالية داخل السياقات المختلفة.

الفصل الثاني: المعنون بـ "الأثر البلاغي لأساليب العطف في سورة الزخرف"، الذي تناول مبحثين: **المبحث الأوّل حول بلاغة العطف في الكلمة،** الذي انقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: بلاغة العطف بـ "الواو"، والمطلب الثاني: بلاغة العطف بـ "الفاء"؛ حيث درسنا شواهد حية للعطف تم انتقاؤها من سورة الزخرف وبيان الدلالات التي يحملها العطف في كل موضع حيث تتجلى بلاغة هذا الأسلوب.

أمّا المبحث الثاني الخاصّ بعطف بلاغة التراكيب، والمقسّم إلى ثلاثة نماذج "الواو" - "الفاء" - "ثمّ".

وخاتمة تضمّنت في طيّاتها النتائج المستفادة من عرض البحث وتحليله.

اقتضت طبيعة هذا البحث المرتكز عليه فصلين أحدهما نظري والآخر تطبيقي أن نتوسل في تحريره بالمنهج الوصفي التحليلي، الذي يناسب الدراسات الوصفية التحليلية؛ إذ احتجنا أن نبسط القول في شرح المفاهيم وتوضيحها، وكذا العناية بتحليل المواضع من الشواهد والآيات على الصعيد المفرداتي والتّركيبي والبلاغي في القرآن الكريم.

ومن الصّعوبات التي واجهتنا في البحث كون قلة الدراسات في هذا الموضوع، وصعوبة فهم لغة المراجع القديمة المُستعان بها، وكون موضوع البحث يحتاج إلى دقّة وامتّسع من الوقت وشيء من التضلع في اختصاص الدراسات القرآنية والتفسيرية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجّه بخالص الشكر والعرفان لأستاذنا الفاضل "رابح أوموان" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وشروحاته لنا.

كما لا يفوتنا أن نقدّم شكرنا وامتناننا لأعضاء اللجنة التي تولّت عناء قراءة البحث للإدلاء بملاحظاتهم عليه، فنرجو أن تكون عوناً لنا للاستفادة منها في سدّ الثغرات والقصور الطارئ عليه وإصلاحه.

الطالبتان

الفصل الأول: العطف في الدرس البلاغي قديماً وحديثاً

المبحث الأول: الدرس البلاغي:

المطلب الأول: تعريف البلاغة.

المطلب الثاني: الفرق بين البلاغة والفصاحة.

المطلب الثالث: نشأة البلاغة.

المطلب الرابع: البلاغة الكلاسيكية والجديدة

المطلب الخامس: علاقة البلاغة بالعلوم:

المبحث الثاني: أسلوب العطف:

المطلب الأول: تعريف العطف.

المطلب الثاني: أنواع العطف.

المطلب الثالث: معاني حروف العطف وأحكامها.

الفصل الأول: العطف في الدرس البلاغي قديما وحديثا

تعتبر البلاغة من العلوم العربيّة الرائدة منذ القديم بفضل توسّع العلماء في التعريف بقضاياها، وهي أقرب إلى الناحية الفنيّة الإيجابيّة، وترشدنا بقواعدها إلى الإنشاء الصّحيح وحسن التعبير، فعلى المتعلّم لها أن تتوفّر فيه العزيمة والتّحلي بالصّبر كي يستطيع التّعمّق فيها، وقد تمّ التّطرّق إلى بعض تعاريفها.

المبحث الأول: الدرس البلاغي:

المطلب الأول: تعريف البلاغة:

أولاً: لغة: "بلغ: الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الثّنى"¹، ويقصد بهذا التعريف أنّ البلاغة هي الوصول إلى المنزلة الرّفيعة. وقيل أيضاً: "والبلغة ما يتبلّغ به من عيش"²، والمقصود بهذا التعريف تحقيق المكانة العالية التي يقتنع بها.

وكذلك البلاغة تعني: "التي يصحّ بها الفصيح اللّسان"³، ويراد في هذه الحالة أنّ البلاغة فيها نوع من الفصاحة التي يتمكّن منها اللّسان الذي يكون ذا كفاءة وطلاقة.

ثانياً: اصطلاحاً: البلاغة لها تعاريف اصطلاحية عديدة، منها: "أنّ حقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النّظم؛ حتّى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاوضة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول"⁴. من خلال هذا التعريف نتوصّل إلى أنّ الغرض من البلاغة يتمثّل في اختيار الكلام الذي يتطابق مع معناه، وحسن البناء

¹- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1395هـ، ج4، ص301.

²- المرجع نفسه، ص203.

³- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

⁴- أبي عباس محمّد بن يزيد المبرّد، البلاغة، تح: رمضان عبد النّواب، ط2، مكتبة الثقافة، القاهرة، 1405هـ-1985م، ص81.

والتسابق بين الكلمات وتقارب المعاني فيما بينها، وجلب البعيد والتأثير.

كما عرفها أيضا كلّ من "علي الجارم" و"مصطفى أمين": "أمّا البلاغة فهي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كلّ كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون"¹. منه تدلّ البلاغة على الإتيان بكلام واضح ذي معنى ملائم لمقام القول، كما يترك انطبعا حسنا لدى السّامع له.

قال أبو هلال العسكري: "البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري. مبلغ الشيء: منتهاه. والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته. فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"². يشير هذا التعريف إلى الوصول للغاية وبلوغ المنزلة الرفيعة في الكلام، وتبليغ الرسالة للغير بشكل مفهوم كما هو مقصود في هيئة مقبولة.

كما علق "بدوي طبانة" على تعريف أبي هلال العسكري أنه اشترط في البلاغة حسن العرض، فالكلام إذا كانت عبارته ضعيفة لا يعتبر بليغا حتى وإن كان واضح المعنى، فمن اعتبر البلاغة في الفهم فقط فقد سوى بين الخطأ والصواب، كذلك لو كان الكلام الواضح البسيط بليغا، وما الكلام المعقد المتكلف بل اعتبر بليغا أيضا، وكان كذلك ممدوحا بما أن البلاغة اسم يمدح به الكلام³.

كما تكون البلاغة أيضا: "وصفا للكلام والمتكلم"⁴، فالبلاغة في الكلام تعني العلاقة

¹ - علي بن صالح عبد الفتاح الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة للبيان والمعاني والبديع، د. ط، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص 08.

² - أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 01، دار الفكر العربي، 1321هـ-1959م، ج 1، ص 06.

³ - ينظر: سامي عمار، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، ط 01، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2007م، ص 32.

⁴ - محمّد علي زكي الصباغ عن: أبي عثمان الجاحظ محمّد علي زكي صباغ، البلاغة الشعريّة في كتاب البيان والتبيين، ط 01، المكتبة العصرية بيّدا، بيروت، 1418هـ-1998م، ص 140.

بين معنى الحال (وهو الدافع إلى التّكلم على وجه خاص) مع فصاحته ويختلف معناه عن موضع الكلام، أما البلاغة في المتكلم تدل على واقع الفصاحة فيه وأنّه يمثل ملكة يقتدى بها لتأليف كلام بليغ¹.

المطلب الثاني: الفرق بين البلاغة والفصاحة:

البليغ سواء كان كلاماً أو متكلماً فهو فصيح، بعكس الفصيح سواء كان كلاماً أو متكلماً فهو ليس بليغ لأن الفصاحة قد تتطابق مع البلاغة، لكن البلاغة تتفادى الخطأ في تأدية المعنى المقصود وتمييز الفصيح من غيره، واللّفظ غير الفصيح لا يكون بليغاً، ولتفادي البلاغة الخطأ في التّأدية وضع لها علم المعاني، وفي تمييز البلاغة السهل من التّعقيد المعنوي وضع لها علم البيان، ولمّا كانت الحاجة إلى معرفة توابع البلاغة وضع لها علم البديع².

فرّق "الخفاجي" بين الفصاحة والبلاغة في قوله: "الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدلّ على معنى يفضل عن مثلها بليغة، فإن قيل فيها: فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغ"³. يقصد من كلامه أنّ الفصاحة تصف الألفاظ فقط، أما البلاغة فتصف الألفاظ مع المعاني، وكل كلام بليغ فهو فصيح وليس كل كلام فصيح بليغ، لأنّ البلاغة أعمّ من الفصاحة، والبلاغة تقوم في المعاني والبيان والتّصوير وتراكيب الكلام، بإيجاز لا يخل بالمعنى ولا يمل منها السامع.

أولاً: درجات البلاغة:

تحتوي البلاغة على طرفين: الأعلى الذي ينتهي إليه والمقصود به حدّ الإعجاز أي

¹ - الجاحظ أبو عثمان، البلاغة الشّعريّة في كتاب البيان والتبيين، ص140..

² - ينظر: المرجع نفسه، ص140-141.

³ - أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفّاجي الحلبي، سرّ الفصاحة، تح: علي قودة، ط01، مكتبة الخانجي بمصر، 1450هـ-1932م، ص62.

كلام الله تعالى ليتبعه الحديث النبوي، ثم يأتي بعده الطرف الأدنى الذي تبتدئ منه البلاغة، ويقصد به البشر ويكون الكلام على شكل درجات متفاوتة بين طبقاتهم المتفاوتة، وإن كان دون ذلك أطلق على أصوات الحيوانات¹.

فالكلام له مستويات حسب بلاغته، فكلما ارتقى كان أكثر بلاغة.

ثانياً: أقسام البلاغة:

تتكوّن البلاغة العربيّة من ثلاثة علوم أساسيّة، تتمثل في: علم المعاني، علم البيان وعلم البديع.

1- علم المعاني:

يستحوذ علم المعاني على مكانة هامة لدى العرب، فالمعاني هي التي تشير إلى المفهوم الذي تقصده ألفاظها وما تحيط به، وفيما يلي نوجز بعض تعاريف من خلال قول " السّكاكي ": " هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"². من خلال تعريف السّكاكي لعلم المعاني يتّضح أن هذا العلم يجاري فائدة الكلام وحسنه والسعي إلى تجنّب الأخطاء مع تلاؤمه للحال المستهدف، ومن بعض مباحث علم المعاني نذكر: أحوال المسند، الإنشاء، الفصل والوصل. فعلم المعاني يستخدم في أسلوبه الغرض البلاغي الذي يخدم مواضعه.

2- علم البيان:

يعتبر من أحد أقدم علوم البلاغة العربيّة، وقبل ذلك كان يعني البلاغة في حدّ ذاتها، كما ينتمي إلى العلوم الإسلاميّة، وقد ارتبط البيان بـ " الجاحظ " من خلال كتابه

¹- ينظر: القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2002م-1424هـ، ص13.

²- أبي يعقوب بن يوسف ابن أبي بكر محمّد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1403هـ-1989م، ص161.

"البيان والتبيين"، نظرا لخدمته وإظهاره لسر الإعجاز الذي جاء به كلام الله عز وجل، إذ كان القرآن الكريم الصورة المثلى للبيان الرفيع ما جعل الغرض الديني ظاهرا في توجيه علوم اللسان العربي، وكان الأسلوب البياني المثل الأعلى لدى رجال البلاغة.

وطبعا يمتدح به العرب قديما، وقد عرفه "عيسى علي العاكوب" في كتابه "المفصل في علوم البلاغة العربية" قائلا: " هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد في طرق وتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة عليه"¹، يوحي هذا التعريف إلى إطلاق معنى وحد على عدة ألفاظ أو تراكيب بشكل واضح.

3- علم البديع:

فقد اختلط في بداية الأمر بعلم المعاني والبيان في مجال البلاغة، وبعد الدراسة المكثفة من قبل البلاغيين وشيئا فشيئا، أصبح مستقلا عن العلمين الآخرين، والمقصود منه " هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"²، ومن هذا التعريف يتضح بأن إضفاء علم البديع على المعاني، يوضح جمال الكلام وإبداعه ومطابقته للمرغوب، ومن مباحثه هناك: المحسنات المعنوية كالمقابلة والطباق، وبالإضافة إلى المحسنات اللفظية كالجناس والسجع.

المطلب الثالث: نشأة البلاغة:

تختلف العلوم العربية باختلاف مسائلها البلاغية، إلا أن هناك صعوبة الفصل فيما بينها، وقد ظهرت البدايات الأولى لعلوم البلاغة العربية في القرن الثاني للهجري، وسرعان ما توافد عليه العلماء الذين ساهموا في تطويرها، أمثال " الجاحظ " في كتابه " البيان والتبيين "، وهو أهم ما ألف في هذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثرا وشعرا، ويحث على الإفهام والوضوح وترك التعمق والتّهذيب في صناعة الكلام، وغيرها من

¹ - عيسى عبد العالي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، دط، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص349.

² - عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ط01، منشورات جامعة خان يونس ينغاري، 1997م، ص155.

الأمر الكثير التي دونها، وقد كانت لدراسته الأثر الكبير في نشأة البيان، والتي لمحت إلى أن يكون الجاحظ الواضع الأول لعلم البيان¹.

وقد بدأ التدوين على يد "ابن المعتز" الذي ألف كتابه القيم (البدیع)، و"ثعلب" الذي ألف كتابه "قواعد الشعر" وغيرهم، إلى أن جاء عهد "أبو بكر عبد القاهر الرّحمان بن محمّد الجرجاني" المتوفّي 471هـ، الذي التزم قواعد اللغة وبنّها على أسس متينة، كما تميّز بالدقّة في وضع المصطلح واتباعه، وأنه متمكّن أيضا بعبقريته المرتبطة أشدّ الارتباط بـ "نظرية النظم"²، والتي يقصد منها: "أن تضع كلامك الموضوع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت لك، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها"³.

وألف كذلك "عبد القاهر الجرجاني" كتابيه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز"، فـ "أسرار البلاغة" تناول فيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه واستعارة ومجاز، وفيه شرح السرقات وبعض ألوان البديع، أي أنه قد أزال عن البلاغة اللبس والغموض. أمّا "دلائل الإعجاز" فتناول فيه بحوثا كثيرة تمثل أصول علم المعاني، وكما تحدّث عن الكتابة، والتّمثيل، وكذا المجاز، والاستعارة، وأيضا السرقات.

يُعدّ هذان الكتابان من أمّهات الكتب العربية، قد اقتدى "عبد القاهر الجرجاني" بأفكار العلماء السابقين في هذا العلم، وسار على نهجهم، كما اجتهد وبذل مجهوداته في الشرح والتّوضيح، وكذا إزالة اللبس والغموض على علم البلاغة، حتّى وصل لمرحلة نضوجها واكتمالها⁴.

¹ - ينظر: القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 09.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

³ - أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجاني، دلائل الإعجاز، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 81.

⁴ - ينظر: القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 10.

المطلب الرابع: البلاغة الكلاسيكية والجديدة:

1- البلاغة الكلاسيكية:

يقصد بها البلاغة البيانية المعيارية والتعليمية، تساعد الكاتب أو الخطيب على كيفية الكتابة والإنشاء والخطابة¹.

من هذا التعريف يتضح أنّ البلاغة الكلاسيكية امتازت بطابع تعليمي وأسلوب معياري بياني، وتساهم في تزويد الكتابة بطرائق فنية أو جمالية ووسائل التّفنّن في هذا العلم. ومنه نفهم أنّ هذه البلاغة اهتمت كثيرا بعلوم البلاغة، كما أحاطتها بشكل تعليمي بامتياز، ما دام سعيها لتقنين الكاتب بمعدات الكلام الجميل².

امتازت البلاغة الكلاسيكية قديما باقترانها بالفلسفة، فلم تتطوّر إلا في بيئة سياسية خطابية، ولم تصبح علما قائما بذاته إلا بعد انفصالها عن الفلسفة، وانغماسها في الثقافة العربية بآلياتها البيانية، فارتبطت بالقرآن الكريم، لتأتي مرحلتها الجديدة³.

2- البلاغة الجديدة:

وقد عرفت بأنها بلاغة علمية لسانية، تهتمّ بوصف الخطاب البلاغي، مع إظهار قواعدها واستخراج دلالتها، وقد تفرّعت إلى عدّة اتجاهات منها:

1- الاتجاه اللساني:

وهذا الاتجاه حاول تصنيف الصّور البلاغية في ضوء معايير منهجية محددة، حسب طبيعة الكلمة أو التّركيب وغيرها، وقد تطوّرت هذه الصّور باعتبار العناصر اللسانية، وهناك من يربطها بمواضع أكثر تنظيما مثل ما فعل (جون دوران) (John Doran) وغيره، إذ

¹ - ينظر: حمداوي جميل، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، دط، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2015م، ص4.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص05.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص06.

أشاروا إلى الصور المنطقية مثل الفصل والتعويض والحذف...¹.

2- الاتجاه الأسلوبي:

وقد كان الأسلوب من أولى اهتمامات الأسلوبية، وهي فرع من فروع اللسانيات تختلف عن البلاغة الكلاسيكية².

وكان وراء ذلك استعادة الأسلوبية من إمكانيات البلاغة التعليمية.

وقد نشأت الأسلوبية باعتبارها بلاغة علمية جديدة في أحضان الشكلائية الروسية، ما يؤكد لنا أن الأسلوبية تطوّرت مع موت البلاغة المعيارية التقليدية، لتحوّل إلى بلاغة جديدة أو أسلوبية جديدة³.

3- الاتجاه الاحتجاجي:

والذي اقترن بتأسيس البلاغة الجديدة على يد التشيكي شايم بيرلمان (Ch Perelman)، وتطورت مع ستيفان تولمان (Stephen Edelston Toulmin)، وقد كان الحجاج عند البلاغيين يستعمل وسائل وأدوات بلاغية لإقناع المخاطب، إذن البلاغة الجديدة اقترنت اقترانا وطيدا بالحجاج⁴.

ونتوصّل إلى أنّ البلاغة قد مرت بمرحلتين قديمة وجديدة، وقد انبنت البلاغة الجديدة على أسس البلاغة القديمة، وتطوّرت وتوسعت مفاهيمها وتنوعت آلياتها اللسانية والأسلوبية والحجاجية.

المطلب الخامس: علاقة البلاغة بالعلوم:

أولا: البلاغة ولسانيات النص:

قبل الخوض في العلاقة التي تربط البلاغة بلسانيات النص، نشير أولا إلى أنّ

¹- يُنظَر: حمداوي جميل، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، ص 09.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص 13.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

⁴- ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

اللسانيّات لم تنشأ من القديم، بل كانت نتاج أبحاث عدة، وقد كانت المرحلة الكبرى لتطوّرها على يد العالم **فرديناند دي سوسور**، الذي عرّفها بأنّها دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وكما توّصلت الدّراسات في مجال اللّسانيّات بعد **سوسور**، وفي هذا الصّدد نخصّ الحديث بأحد فروعها المتمثّل في علم النّص، والذي عرّفه **سعيد حسن بحيري** بقوله: "نحو النّص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلاليّة ومنطقيّة إلى جوار القواعد التركيبيّة. ويحاول أن يقمّ صياغات كليّة للأبنيّة النّصية وقواعد ترابطها، وبعبارة موجزة، قد حدّدت للنّص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقّة إذا التزم حد الجملة..."¹.

أمّا فيما يخصّ العلاقة بين البلاغة ولسانيّات النّص، فهي من أهمّ سمات البحث العلمي الحديث، إذ نجد " **أمين الخولي** " من الأوائل الذين اهتمّوا بهذه العلاقة، إذ انتبه إلى أن البلاغة لدى العرب قديما انحصرت في الجملة، دون الالتفات إلى ما ورائها، ونجد الدّراسات المكثفة تقطن إلى أنّ الدّراسة البلاغيّة في إطار الجملة ناقصة². وهنا نادى إلى التّجديد في الدّرس البلاغي، ودعا إلى تجاوزه لمستوى الجملة إلى مستوى النّص، وقد كانت هذه الدعوى ذات معنى وتمهيدا إلى مواصلة الطّريق في هذه الدراسة، وقد تلقت ترحيبا واسعا من طرف اللسانيّين والبلاغيّين، ما أدى إلى الانتقال بالتدرّج عبر عمليات تحول ونقله كبرى في الدّرس اللّساني والبلاغي، في العربيّة، كان فيه الانتقال من " نحو الجملة " و" بلاغة الجملة " إلى " نحو النّص " وبلاغة النّص"³.

ثانيا: البلاغة وعلاقتها بعلم النّحو:

تعتبر علوم البلاغة وعلم النّحو من الأساسيّات في دراسة اللّغة العربيّة، فكلا العلمين

¹ - بحيري سعيد حسن، علم لغة النّص، المفاهيم والاتّجاهات، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، سنة 1997م، ص134.

² - ينظر: عبد الحميد محمّد جميل، بلاغة النّص، (د. ط)، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، كلية الآداب، جامعة حلوان، سنة 1999م، ص11.

³ - عبد الحميد جميل، بلاغة النّص، ص13.

متعلقان بتراكيب الكلام وتنظيمه، وفق أحوال المخاطب والسماع، ومن القضايا البلاغية الاحتراز من الوقوع في الأخطاء أثناء تأدية الكلام، معتمدة في ذلك على القواعد النحوية التي تبنى عليها الأغراض البلاغية، فهناك علاقة وثيقة بين علم النحو وعلم البلاغة، إذ لا يمكن الفصل بينهما وذلك لتلازمهما، كون النحو هو الأرضية التي تقوم عليها البلاغة، وهي بدورها تعمل على فهم القارئ للكلام ضمن الكلمة والمعاني التركيبية بالاستعانة بقواعد النحو، وينظر في مقامها بملاحظة أدلة كل جزء وتركيب وفق إطار النظم، والتي يقصد بها تعليق الكلام على بعضه، أو تركيب على آخر ويكون بسبب ذلك¹.

ولكون الرابطة القوية بين النحو والبلاغة، نلاحظ أنّ هناك كثرة التشابه بين الترتيبات النحوية والترتيبات البلاغية، إذ تطرق علماء البلاغة إلى أبواب النحو، وبينوا ما ينتج عن النحو من معاني تظهر بواسطة التراكيب، ونجد البلاغة تساعدنا على معرفة معنى الجملة أثناء إدخالها في سياق معين².

من خلال ما ذكرنا سابقا حول علاقة البلاغة والنحو، نتوصل إلى أنّ النحو يعالج الأمور الموضوعية، إلى جانب محافظة البلاغة على سلامة القواعد النحوية، ومنه يلاحظ أنّ هذين العلمين كأنهما يتمحوران داخل حلقة واحدة؛ إذ يبحث علماء النحو في الكلام العربي وإعراب مفرداته وجمله، ويقوم بتحديد أصول المعاني، وغيرها من المواضيع النحوية، وأمّا بالنسبة لعلماء البلاغة فيوجهون اهتمامهم إلى معاني المفردات في التراكيب، والعطف من بين الموضوعات التي عالجتها الدراسات اللغوية القديمة والجديدة، وذلك وفق زوايا نظر متعدّدة، لذا عد العطف من المواضيع التي احتفت بها البلاغة العربية قديما وحديثا؛ إذ هناك العديد من البلاغيين الذين درسوا وناقشوا موضوع

¹ - ينظر: الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص55.

² - ينظر: محمود أحمد الزين، مفاتيح فهم الكلام العربي، دار الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، 2011م-1432هـ، ص52-60.

العطف بلاغيًا، حيث تناول عبد القاهر الجرجاني موضوع العطف ببعده البلاغي، وذلك ضمن باب الفصل والوصل، ودرس في هذا الباب ما يربط ويعطف بين الجمل فيما بينها، وذلك من خلال الوصل بالاستعانة بأدوات العطف، والفصل الذي يتم بالتخلي عن أدوات العطف.

نجد الوصل "هو عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصّة، لصلة بينهما في المبنى والمعنى، أو دفعا للبس يمكن أن يحصل"¹، فالوصل حسب ما أشار إليه عيسى علي العاكوب أنّه ربط بين الجمل بعضها ببعض بالواو، وأن تكون بينهما صلة في البناء والمعنى، فالوصل يكون فيه العطف (الربط) بين الجمل. أما "الفصل" ف "هو ترك هذا العطف بين الجمل، إمّا لأنّ الجملتين متّحدتان مبنى ومعنى، أو بمنزلة المتّحدتين، وإمّا لأنّه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى"²، فالفصل حسب تعريفه أنّه هو ترك العطف بين الجمل، وذلك لأنّ الجمل إمّا متّحدتين مبنى ومعنى، وإمّا لا علاقة بينهما في البناء أو المعنى.

إذن الوصل والفصل يعدّان همزة وصل بين البلاغة وموضوع العطف، فالعطف من الناحية البلاغية يقوم بإيصال المعنى بوضوح، ويؤثّر في القارئ أو المستمع، ويجعل النص أكثر تأثير وجاذبية ويعزز قوة التعبير، واستخدام كل من الوصل والفصل يعتمد على غرض بلاغي من النص، والرغبة في إيضاح العلاقة بين الأفكار أو تركها مستقلة، وهو ما سنبينه أكثر في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: أسلوب العطف:

تطرّق النحويون في كتبهم إلى تقسيم التّوابع إلى أربعة أقسام هي: النّعت، التّوكيد، البدل والعطف، الذي يندرج ضمن أهمّ المسائل اللّغويّة في تماسك النصّ

¹ - العاكوب عيسى عبد العالي، المفضّل في علوم البلاغة العربيّة، ص 351.

² - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

واتساقه، وأساليبه التي يتم التركيز عليها في البحث، والذي ينتمي إلى الوصل والفصل، وهو بدوره يتمحور ضمن إحدى المستويات الكبرى للغة وأدقها، أي النحو والبلاغة.

وقبل الشروع في البحث في العطف، نوجز لمحة حول موضوع النحو الذي يدرس أحوال الجملة والتراكيب العربية من إعراب وبناء، كما يدرس وظائف الكلمة، ومن بين العلماء الأوائل المساهمين في تعويد النحو نجد أبو الأسود الدؤلي، الذي اهتم بإرساء نواته الأولى بتوجيه من الإمام علي، ثم سار النحاة على نهجه وعملوا على توسيع هذا العلم¹. ومنه نفهم أنّ علم النحو يعالج التغيرات البنائية والإعرابية التي تدخل على الجملة، سواء الرفع أو النصب أو الجرّ، بالإضافة إلى دراسته لأقسام الكلمة من حرف وفعل واسم، كما يتصرّف أيضا على حالات الأفراد والتنثنية الجمع.

ونتطرّق أيضا إلى الوصل والفصل، فهي من أقدم المصطلحات البلاغية التي نبّه إليها العلماء في عهد التأليف البلاغي، كما يساهم في معرفة المواطن التي توجب العطف أو تستغني عنه².

فمن خلال هذا التعريف يتوضّح أنّ فترة ظهور مبحث الوصل والفصل تتقارب مع فترة التأليف البلاغي، فهو من قضايا البلاغة، كما أنّه يوصل بين البلاغة والعطف.

ومن تعريف الزّمخشري للتوابع: "هي الأسماء التي لا يمسه الإعراب إلا على سبيل التّبع لغيرها، وهي خمسة أضراب: تأكيد وصفة (نعت) وبدل، وعطف بيان، وعطف بحرف"³. ومنه يتبيّن أنّ هذه التوابع لا بد أن تكون مرتبطة فيما بينها كي يتمّ إعرابها.

المطلب الأول: تعريف العطف:

1- لغة: عرّفه ابن فارس في معجمه "مقاييس اللغة": العين - الطاء - الفاء أصل واحد

¹ - ينظر: لعطية مروان، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار البشائر، ص349-ص350.

² - ينظر: صباح عبيد إسماعيل دراز، في البلاغة القرآنية - أسرار الفصل والوصل، ط01، مطبعة الأمانة، مصر، 1406هـ - 1586م، ص05.

³ - محمّد حماسة عبد اللطيف، التوابع في الجملة العربية، (د. ط)، مكتبة الزهراء، 1991م، ص10.

صحيح يدل على انثناء وعياج. يقال: عطفت الشيء إذا أملتة، وانعطفت إذا انعاج، ومصدر عطف المعطوف"¹.

عرّفه الأصفهاني أيضا في قوله: "العطف يقال في الشيء، إذا ثنى أحد طرفيه إلى الآخر كعطف الغصن والوسادة"².

وكذلك نجد تعريف ابن منظور: "عطف: عطف يعطف عطفًا: انصرف ورجل عطوف وعطاف: يحمي المنهزمين، وعطف عليه يعطف عطفًا: رجع عليه عما يكره أوله بما يريد، وتعطف عليه: وصله وبرّه"³.

ومن خلال هذه التعاريف اللغوية للعطف يتّضح بأن العطف يعني الميل، وأن يشفق فلان على فلان.

2- اصطلاحًا: من التعريفات الاصطلاحية للعطف نجد تعريف عبد القاهر الجرجاني في قوله: "أنّه تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه، يتوسّط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة مثل: قام زيد وعمر، فعمر تابع مقصود بنسبة القيام إليه مع زيد"⁴، ومن هذا التعريف يتّضح أنّ العطف يكون في حالات التّوابع، يفهم مما سبقه ويربط بينه وبين متبوعه أحد حروفه.

المطلب الثاني: أنواع العطف: ينقسم العطف إلى نوعين وهما:

1/ عطف بيان: و "هو تابع جامد يشبه النّعت في إيضاح متبوعه إن كان معرفة، وفي

¹- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام بن محمد هارون، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع، 395هـ، ج4، ص351.

²- الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني، كتاب المفردات في غريب القرآن، (د. ط)، ص572.

³- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، (د. ط)، بيروت، مجلد 9، ص249.

⁴- أبو بكر عبد القاهر عبد الرّحمن بن محمد الشّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص156.

تخصيصه إن كان نكرة، بنفسه لا بمعنى في متبوعه ولا في سببه¹، من خلال هذا التعريف يتضح بأن عطف البيان هو من التّوابع، وجامد غير مشتقّ وأنه يشبه الصّفة يقوم بإيضاح متبوعه.

2/ **عطف النّسق:** وهو "ما يتوسّط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف"²، من خلال هذا التعريف يتبين أنّه عطف أو ربط بين المعطوف عليه والمعطوف، باستعمال أحد حروف العطف والمعطوف عليه هو المتبوع الذي يسبق حرف العطف، وحرف العطف هو الحرف الذي يكون بين المعطوف عليه والمعطوف، والمتبوع هو التّابع الذي يتبع المعطوف عليه.

المطلب الثالث: معاني حروف العطف وأحكامها:

حروف العطف تتوسّط بين المعطوف عليه (المتبوع) والمعطوف (التّابع)، وعددها حسب بعض النّحاة عشرة وتتمثّل في: " (الواو - الفاء - ثمّ - حتّى - أم - أو - إمّا - لا - بل - لكن)؛ وهي جزأين: الأحرف السّبعة الأولى تشترك في الحكم والإعراب معاً، والثلاثة الأخيرة فهي تشترك في اللفظ دون المعنى"³.

أولاً: الواو: يعدّ حرف "الواو" أمّ باب حروف العطف لكثرة استعمالاتها، وهي تفيد الاشتراك في الحكم والإعراب⁴. وتحتوي على عدّة معاني منها:

1- **مطلق الجمع:** في هذا الشأن قال أبو علي الفارسي: "أجمع بعض نحاة البصرة والكوفة على أنّها للجمع المطلق، وذكر سيبويه في سبعة عشر موضعاً من كتابه أنّها للجمع

¹- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي القرشي، القواعد الأساسيّة للغة العربية، (د. ط)، بيروت- لبنان، (د. ت)، ص294-ص295.

²- أسعد عجمي موسى، نظام العطف في النّحو والصّرف، (ط 01)، 1432هـ-2011م، ص118.

³- ينظر: عمر أحمد مختار - زهران مصطفى النّحاس، عبد اللطيف محمد حماسة، النّحو الأساسي، ص517.

⁴- ينظر: أبو محمّد بدر الدّين حسن بن عبد الله بن علي المرادي، الجنّي الدّاني في حرف المعاني، تح: فخر الدّين قباوة- محمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، ط01، بيروت- لبنان، 1413هـ- 1992م، ص188.

المطلق"¹، والمقصود من هذا التعريف القول أنّ الواو يجمع بين شيئين في الحكم بينهما. مثل: ذهب سعيد وعمر، أي أنّ الواو هنا حكم على سعيد وعمر بالذهاب معاً.

إلا أنّ هناك اختلاف بين النحاة، إذ هناك من أرجعها إلى:

2- الترتيب: نستدلّ على ذلك بقول الفراء وثعلب وأبي عبيد: "إنّها للترتيب، وروى هذا عن الشافعي وبعض أصحابه، كما روى عن أبي حنيفة"²، ويقصد بالترتيب هنا ترتيب الزمان الذي يكون فيه الأوّل في اللفظ، ولا يصحّ للمتأخّر أن يتقدّم عن الأوّل، نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ (88) ﴾ [سورة الحجّ: الآية 88].

والركوع في الشّرع أولى من السّجود، فالسّجود يلي الركوع بالترتيب، وبالإضافة إلى بعض الأحكام للواو العاطفة نذكر:

3- عطف بالواو على منفي: كأن تقول: ما يستوي الحاكم ولا الجاهل، ولو تحذف حرف (لا) تصبح الواو تقصد المعية لا العطف³.
كما صنّف السّهيلي الواو إلى قسمين:

أحدهما: أن تجمع الاسمين في عامل وتعوض صيغة التثنية، نحو: لعب خالد وأيمن، بمنزلة لعب هذان.

ثانيهما: أن تضمّر بعد الواو، فتنصب المعطوف بذلك المضمّر أو ترفعه⁴.
مثل: ما حضر لا محمّد ولا خالد.

4- عدول الواو عن المعنى الأصلي إلى المعنى الفرعي نيابة عن الفاء:
نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْتَرُونَ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَاكَ قَالَ سَنْقَتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127) ﴾ [سورة

¹- سعد محمود، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، (د. ط)، منتدى الأزيكية، ص23.

²- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

³- ينظر: المرادي الحسن، الجنيّ الداني في حرف المعاني، ص161.

⁴- ينظر: المرجع نفسه، ص161-162.

الأعراف: الآية 127]، "جاء العطف في هذه الآية بـ " الواو " نيابة عن " الفاء "، إذ عطف حرف " الواو " في الآية " يَذْرِكُ " على " يُفْسِدُوا "، بمعنى إذا تركهم ولم يمنعهم أدى ذلك إلى ما سموه بالفساد، ويكون بمعنى جواب للاستفهام بـ " الواو " ويجوز بـ " الفاء "، وجاء ناصباً بإضمار " أن " الذي تقديره أن يكون منك ترك موسى، ويكون تركه إياك وآلهتك¹. وفيما يخصّ الأثر البلاغي هنا كان في الآية بعدول حرف " الواو " عن حرف " الفاء "، بشكل بلاغي متناسب مع سياق الآية.

ثانياً: حرف الفاء:

ترد الفاء بمعان عدة منها:

1- **التّعقيب:** أي تكون " الفاء " تشترك في الإعراب والحكم مع غيرها، وفي هذا الإطار تصبح الجملة الثانية موالية للأولى دون فاصل زمني².

مثل: دخل الأستاذ فالطلاب، ومثال من القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾ (63) [سورة الحج: الآية 63]. والمقصود من هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)، فبعد إنزال المطر من السماء على الأرض تصبح خضراء بما تعطيه من نبات.

لكون حرف " الفاء " للتّعقيب، وجب ربط جزاء الشرط به بواسطة الفاء، ما دام الجزء يتّصل بالشرط، فلا يدخل فيه إلا لفظ يفيد التّعقيب³، والمقصود من التّعقيب لدى أهل اللغة أن الفاء تختصّ بمعنى موضوع له حقيقة، فالفاء للوصل والتّعقيب، فيصبح المعطوف

¹- الرّمخشري محمود بن عمر، الكشاف، تحرير: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وفتحي بد الرّحمن أحمد حجري، ط1، مكتبة العبيكات، الرياض - المملكة العربيّة السّعوديّة، 1998م، ص491.

²- ينظر: مطاوع حسين - التّرتوري حسين، حروف المعاني وأثرها في اختلاف الفقهاء، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه، فرع الفقه وأصوله، شعبة الأصول، جامعة أمّ القرى، كليّة الشريعة والدراسات الإسلاميّة مكّة المكرّمة، إشراف: الأستاذ الدّكتور محمد محمّد الخضروي، 1402هـ - 1982م، ص61.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص62.

والمعطوف عليه بزمان، لأنَّ وجوه العطف منقسمة على حروفه¹.

وتكون الفاء بمعنى الترتيب والتشريك وهو معنوي، نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (36) [سورة البقرة: الآية 36]، المقصود من هذه الآية الترتيب والتشريك، أي بعد إيقاع الشيطان لآدم عليه السلام وحواء رضي الله عنهما، ووسوس لهما حتى أكلا من الشجرة، ثم تسبب ذلك بإخراجهما من الجنة.

كما تدخل الفاء على الأحكام والعلل، كون الحكم صادر على العلة مثل: صاحبته فعرفته، و " فاء " لمعرفة هنا علتها المصاحبة.

كما أنَّ للترتيب قسمين اثنين هما:

1- المعنوي: "وهو أن يكون المعطوف بها لاحقا"²، مثل: جلس محمد فيوسف.

2- التكري: أي الترتيب في اللفظ دون الزمان، ويعني بترتيب الكلام في الذكر على ما قبلها لفظا، ويقع معنى الثاني بعد زمان الأول، وغالبا يكون في عطف مفصل على مجمل³، نحو قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ (45) [سورة هود: الآية 45]، والمقصود هنا كون نداء نوح عليه السلام لربه، بعد وعد الله له بالنجاة وأهله من الغرق، وهنا كان الكلام على شكل مجمل ليأتي نداء نوح عليه السلام بأن ابنه من أهله ليكون مفصل بعد مجمل.

وفي هذا الباب يمكننا ذكر طريقة حدوث عطف الصفات بالفاء في القرآن الكريم؛ من خلال آراء الزمخشري الذي توصل إلى أن حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات، إما تدل على ترتيب معانيها في الوجود، أو على ترتيب موضوعاتها، وكان هذا بعد استقراره لما جاء في القرآن الكريم في استعمال الفاء في عطف الصفات، وقد أجزاها في مجال التطبيق

¹ - ينظر: مطاوع حسين - الترتوري حسين، حروف المعاني وأثرها في اختلاف الفقهاء، ص 63.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 152.

³ - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

في عدة مواضع ككتابه "الكشاف"¹، منها تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3)﴾ [سورة الصافات: آيات 1-2-3]، وهنا أشار إلى أن "الفاء" تدلّ على ترتيب الصفات في التفاضل سواء للملائكة أو العلماء، فإن كانت الصفات ذات فضل فتليها الزاجرات أفضل، فتليها أيضا التاليات أبهر فضلاً²، ففي هذه الآية أفاد حرف "الفاء" عطف الموصوفات فيما بينها بالترتيب.

عدول "الفاء" عن المعنى الأصلي إلى الفرعي نيابة عن "ثم". قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63)﴾ [سورة الحج: الآية 63]، جاء العطف في الآية بـ "الفاء" التي أفادت الترتيب مع التراخي في المهلة بمعنى حتى، إذ عطفت -تصبح- على -ماء-، ويقصد من كلمة مخضرة في الآية إثبات الاخضرار حتى بعد انقضاء فترة نزول المطر³، وتتوضّح بلاغة أسلوب العطف هنا وفق عدول حرف "الفاء" عن معناه الأصلي إلى معنى "ثم" بصيغة تخدم سياق الآية.

ثالثاً: حرف "ثم":

يعمل على إفادة الترتيب شريطة وجود الجملة الثانية بعد الأولى بفاصل زمني⁴، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)﴾ [سورة طه: الآية 82]، والمقصود من الآية أن الله تعالى يغفر لمن يتوب من الذنب واستمر في العمل الصالح، ثم اهتدى على الاستقامة. فـ "ثم" تعيد الترتيب بين التوبة والاهتداء، فهنا الجملة الثانية وردت بعد الأولى بالترتيب في المهلة.

¹ - حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ط01، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، 1991م، ص149.

² - المرجع نفسه، ص149-ص150.

³ - الرّمخشري أبو القاسم، الكشاف، ص209.

⁴ - ينظر: أبي القاسم محمود بن عمر الرّمخشري، المفصل في علوم العربية، ط2، دار الجيل، بيروت- لبنان، (د. ت)، ص307.

كما استدللّ "أبو حنيفة" وصاحبه على أنّ "ثمّ" تصلح للتّرتيب في الحكم بعطف العطف لشيء على آخر بـ "ثمّ"، والمراد تراخي الثّاني على الأول في الحكم¹، مثل: لفلان علي مكافأة، إن حصلت على منصب عمل، وهنا تراخ في الحكم إلى الشرط الذي علفت عليه المكافأة، والتعليق هنا تقديري كذلك بالعطف بـ "ثمّ".

رغم اختلاف الآراء حول هذه المسألة، إلا أنّه يبدو أنّ رأي "أبي حنيفة" وصاحبه حول هذا الحكم بالتّرتيب والتّراخي لحرف "ثمّ" هو المعمول به في كلام العرب.

جاءت "ثمّ" في عدة مواضع من القرآن الكريم، وأغلبها عاطفة لجملة على جملة، وفي معظم هذه الحالات كانت الجملة المعطوف عليها لا محلّ لها من الإعراب، وفي الكثير من المواضع التي أتت فيها "ثمّ" في القرآن الكريم دلّت على التّرتيب والتّراخي في الزّمان²، نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21)﴾ [سورة عبس: الآية 19-20-21]. أفاد العطف في الآية التّرتيب والتّراخي في إبداع الخالق في صنعه، فبعد أن كان الإنسان على شكل نطفة، وهي عبارة عن مادّة خلق الحيوان، ولكون الخلق يكون بانتظام حسن ومفرع فهناك مهلة، والسبيل في هذا تسهيل الطّرق للإنسان في أعماله وتصرفاته³، ويكمن الإعجاز البلاغي للآيات في ترتيب مراحل خلق الإنسان، الذي كان على شكل نطفة ليتحوّل إلى خلق، وليأتي العطف بمهلة في تصرّف الإنسان بشؤونه إلى مماته.

رابعاً: الحرف "حتى":

يفيد التّدرّج في الحكم وبلوغ الغاية، أي انقضاء الشيء بالتّرتيب إلى نهايته⁴، مثل: درست حتى الصباح.

¹ - مطاوع حسين - التّرتوي حسين، حروف المعاني وأثرها في اختلاف الفقهاء، ص180، ص181.

² - ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص156.

³ - بن عاشور محمّد الطّاهر، تفسير التّحرير والتّوير، (د. ط)، دار التّونسيّة للنّشر، تونس، (د. ت)، ص123.

⁴ - ينظر: عبد اللّطيف حماسة، التّوابع في الجملة العربيّة، ص124.

يلزم العطف بـ "حتى" أربع مواضع، وهي:

- أ- أن يرد المعطوف جزءا من المعطوف عليه، مثل: يموت الناس حتى الأنبياء.
- ب- ورود المعطوف بها غاية على ما سبقها في الزيادة أو النقصان، مثل: حضر القوم حتى الأطفال.
- ج- مجيء المعطوف بها اسما ظاهرا لا ضميرا، فلا يمكن العطف بالضمير، مثل: شرب الجميع حتى أنا.
- د- إيراد المعطوف مفردا لا جملة¹، مثل: ذهب خالد حتى عمر.

وقد ورد الحرف حتى في القرآن الكريم لتكريس استعمال انتهاء الغاية كما في قوله الله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (01) ﴾ [سورة البيّنة: الآية 01]، جاءت "حتى" في الآية هذه عاطفة، فقد عطفت - تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ - على ما قبلها - الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ -، حيث أفادت "حتى" انتهاء الغاية، وتكمن بلاغتها في الآية عندما لم يكن الذين كفروا ليتخلّوا عن شركهم حتى تأتيهم البيّنة، بمعنى مجيء الرسول (ص)، فهذه الآية توجي إلى ابتعادهم عن كفرهم بعد قدوم الرسول (ص).

كما ظهر الأثر البلاغي للعطف جاريا بـ "حتى" في الآية، والتي تقصد بالغاية أن المشركين ابتعدوا عن كفرهم عند إتيان الرسول صلى الله عليه وسلم، لتأتي الآية رقم (4): ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (04) ﴾ [سورة البيّنة: الآية 04] مقابلة للآية الأولى، ما دلّ على أن بعد إتيان الرسول صلى الله عليه وسلم ازداد كفر المشركين، وفي الآية حذف متعلّق بـ -مُنْفَكِينَ- لدلالة الكلام عليه، لأنّ في الآية -الَّذِينَ كَفَرُوا- دلالة على أن المقصود لم يتخلّوا عن كفرهم، ومن هنا تتوضّح بلاغة عطف الآية

¹- ينظر: عبد اللطيف حماسة، التّوابع في الجملة العربية، ص125.

في أنّ إتيان البينة المقدرّة بـ - رَسُولٍ مِنَ اللَّهِ - هي نهاية انعدام ابتعادهم عن كفرهم¹.

خامسا: حرف "أو":

تعمل على عطف المفردات والجمل²، وتقيد التّسوية بين معطوفاتها، وتأتي مثلا جملة الشرط بعد (ما) نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ (270) [سورة البقرة: الآية 270]، فمن خلال الآية نلاحظ أنّ " أو " قد سوّت بين النفقة والنذر، فإنّ الله يعلم بهما.

حيث تعتبر التّسوية بمثابة المعنى الوظيفي لـ " أو " واتّحاد معانيها³، ومنها:

1- التّخيير: والمقصود به التّفضيل بين احتمالين والالتزام بواحد فقط، مثل: راجع النّحو أو الصّرف.

2- الإباحة: إذ يمكن اختيار شيء واحد أو اختيارهما معا، مثل: زر الجزائر أو تيزي وزو.

3- التّقسيم: وهو يوحى إلى عناصر الشّيء أو أقسامه⁴، مثل: الرّياضيّات جبرا أو هندسة.

ومنه يتضح أنّ الغرض الذي يكون فيه تركيب، أو هو الذي يحدد معانيها سواء تخييرا

أو إباحة.

وقد ورد استعمال " أو " بمعنى التّسوية في القرآن، ومن المعاني التي تصلح بها

التّسوية بـ "أو" في القرآن الكريم نذكر: رفع توهم أسبقية أو تفضيل أحد المتعاطفين على

الآخر؛ بمعنى اعتبار التّسوية للمتعاطفين في رتبة واحدة، وإن كان الاعتقاد بعلو أحد

المتعاطفين على الآخر، حسنت التّسوية⁵، ومثال على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ

كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ ﴾ (53) [سورة التّوبة: الآية 53]، فالعمل هنا غير راضي عنه، سواء

¹- الطّاهر بن عاشور، التّحريم والتّنوير، ص469.

²- ينظر: بابستي عزيزة فوال، معجم مفصل في النّحو العربي، ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، 1413هـ- 1992، ص274.

³- ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص274.

⁴- ينظر: عمر أحمد مختار- زهران مصطفى النّحاس، عبد اللّطيف محمد حماسة، النّحو الأساسيّ، ص22-23.

⁵- ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص234.

كان الإتقان بالرغبة أو الغصب، فالآية سوت بينهما.

لكن قد يكون هناك عدول عن المعنى الأصلي الذي يدل على التسوية إلى معنى فرعي هو الاضراب وحينئذ تنوب "أو" عن "بل" في أداء المعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147)﴾ [سورة الصافات: الآية 147]، أفاد العطف بـ "أو" هنا الإضراب بمعنى "بل"، أي عند إرسال الله نبيه يونس عليه السلام إلى قوم اليهود عطف - يَزِيدُونَ - على - مِائَةِ أَلْفٍ - وعطف عليه - يَزِيدُونَ -، والمقصود منه "بل" إلى بقية سگان ينوي¹.

سادسا: حرف "أم":

تعدّ "أم" من أساليب العطف التي تشترك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الإعرابي، وتحوي قسمان وهما:

1- "أم" المتصلة: والتي تأتي بدورها على نوعين هما:

1-1 أن تكون "أم" المتصلة مسبقة بهمزة يتمّ الطلب بها، و"أم" يتمّ بها التعيين، مثلا: أدخل محمد أم خالد، بمعنى أن الهمة يطلب بها أيهما دخل، وبحرف "أم" يتمّ تعيين من دخل.

1-2 أن يسبق الحرف "أم" بهمزة التسوية، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (06)﴾ [سورة البقرة: الآية 06]، جاءت "أم" هنا عاطفة لجملة فعلية - لَمْ تُنذِرْهُمْ - على جملة فعلية مماثلة لها - أُنذَرْتَهُمْ -، ووردت "أم" في الآية مسبقة بهمزة التسوية، ما يوضح بأن الذين كفروا سواء أنذرتهم أم تركتهم بدون إنذار فهم لا يؤمنون.

2- "أم" المنقطعة:

ترد "أم" المنقطعة بين جملتين مستقلتين ولا تسبق بهمزة استفهام ولا بهمزة

¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 179.

تسوية، نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ (16) [سورة الرعد: الآية 16]، من خلال الآية يتضح أن "أم" جاءت منقطعة بين جملتين مستقلتين، ولم تسبق بكلا الهمزتين سواء الاستفهام أو التسوية.

سابعاً: حرف "إما":

تعتبر من الحروف التي تقتضي الإشراك في الحكم والإعراب، ويقصد بها التسوية والتي من معانيها:

1- الشك: مثل: درست مع زميلي الأسبوع الماضي إما ثلاثة أيام وإما أربعة، والملاحظ في هذا المثال أن "إما" الأولى قصدت الشك في عدد أيام الدراسة.

2- التخيير والتفضيل:

أولاً: التخيير: وهو من بين معاني حرف "إما"، والذي يقصد به اختيار شيء واحد من بين الاثنين أو الأكثر.

ثانياً: التفضيل: وهو أيضا من معاني حرف "إما"، ويقصد به الفصل بين أمرين أو أكثر، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (03) [سورة الإنسان: الآية 03]، فقد ذهب بعض النحاة إلى أن المقصود من الآية أن الله تعالى قد أرشد الإنسان إلى طريق الصواب بإنزال القرآن الكريم، فعلى الإنسان أن يميز ويفضل طريقا واحدا سواء الشكر أو الكفر، ومنه أقر بأن المعنى الدلالي المراد من "إما" هو التخيير، في حين هناك رأي آخر يقر بأن معنى "إما" في الآية يوحي إلى التفضيل، وبحسب فهم جماعة من المتأخرين أن المعنى الذي تفيدته "إما" في الآية هو التفضيل، بحيث يرون بأن القصد من الآية أن الله تعالى زود الإنسان القدرة في حالتي الشكر والكفر، وما عليه إلا التفضيل بين الطريق الذي يتبعه¹.

¹- ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص333-334.

حالات استعمال "إِذَا" في القرآن:

1- التّخيير: وردت "إِذَا" عاطفة في عدة مواضع من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ (65) [سورة طه: الآية 65]، وهنا وقع العدول في الآية، فعوض أن يقال وَإِمَّا أَنْ نَلْقَى - قصد به غرضين: **أولاً: لفظي:** أي التركيب لرؤوس الآيات.

ثانياً: معنوي: أي أن الله أراد أن يختبر قوة أنفس السحرة، وذلك بأسلوب التّخيير، وفيه دلالة على معانيهم لا على ألفاظهم، فاستهدفت الآية الأثر البلاغي وفق السياق المناسب¹.

2- التّفضيل: نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ (75) [سورة مريم: الآية 75]، أفادت " إِذَا " في الآية التّفضيل، حيث دخلت في إطار الشرط بـ " إذا " ليصبح - حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ -، أي تحقيق العقاب في الدّنيا كالضّرب أو السّجن، فإن لم يعذب في الدّنيا فسيأتي حسابهم يوم البعث، إذ رأوا هذا ووصلوا إليه - فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا -².

ويمكننا أن نضيف في هذا السياق أنّه بالنّسبة لـ "إِذَا" الثّانية فقد اختلف النّحاة حولها، فهناك من اعتبرها عاطفة والواو زائدة، في حين هناك من اعتبرها غير عاطفة والواو هي العاطفة. كما نلاحظ أنّ كلّ من "إِذَا- أو- أم المتّصلة" تؤدّي دلالة التّسوية، التي تشير إلى أنّ المتعاطفين سواء في صلاحه، كل واحد منهما للاستقلال بالحكم، أو التي تحوي بدورها معاني الشّك والإبهام والتّخيير والتّفصيل³.

ثامناً: حرف "لكن":

هي من حروف العطف التي تشترك في اللفظ دون المعنى، وهي تدل على

¹- ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص323.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص329.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص297.

الاستدراك، وتأتي مثبتة لما بعدها، ونفيا لما قبلها، مثل: لم يأتي محمد لكن عيسى.

- ولمجيء " لكن " عاطفة لا بدّ من توفر بعض الشروط منها:

- أن يكون المعطوف عليها مفرد، مثل: لا أحبّ الكسول لكن المجتهد.

- أن تسبق بنفي أو نهي، مثل: ما ذهب سليم لكن أحمد.

- ألا تقترن بالواو، مثل: لا تشرب القهوة لكن الحليب.

- وإذا سبقت "لكن" بإيجاب أصبحت حرف ابتداء، مثل: حضر مراد لكن مراد لم يحضر¹.

- وإذا سبقت بالواو فإنها ترد للاستدراك²، نحو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ

رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ (40) ﴾ [سورة الأحزاب: الآية 40]، والمقصود من الآية أنّ

(رَسُولَ اللَّهِ) معطوف بالواو، ومنه نستخلص أنّ " لكن " في الآية دلت على الاستدراك لا

على العطف، لأنها سبقت بالواو، والواو في هذه الحالة هي العاطفة.

استعمالات " لكن " في القرآن:

فيما يخص استعمالات " لكن " في القرآن الكريم نستدلّ بحالتين:

أولاً: عندما لا تسبق " لكن " بالواو تكون عاطفة شريكة أن يسبقها نفي ويليها مفرد، وإن

استغنت عن أحد هذه العناصر أصبحت للاستدراك، وبحسب هذا الرأي يشير إلى أن " لكن "

لم ترد في القرآن الكريم عاطفة³.

ثانياً: عندما تسبق " لكن " بالواو، والمعمول بها هنا إفادة الواو للعطف، في حين تكون

" لكن " بمعنى الاستدراك، وتكون الجملة السابقة للواو والجملة التي تليها مرتبطة من حيث

المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) ﴾ [سورة البقرة:

الآية 12].

¹- ينظر: عبد اللطيف محمد حماسة، التوابع في الجملة العربية، ص 109.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص 135-136.

³- ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 386.

نلاحظ من خلال الآية وقوع استئناف ب " ولكن "، حيث كانت العبارة قبل " ولكن " -
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ -، لها تأثير على الكلام الذي بعد " ولكن "، أي - لَا يَشْعُرُونَ -
وتدلّ إفادة الاستدراك في الآية على رفع توهم من شيء من تلقّي الحكم السابق، بذكر حكم
آخر يكمل معناه ويوضحه¹.

تاسعا: الحرف "بل":

هي من حروف العطف التي تشترك في اللفظ دون المعنى، تقيد الإضراب وتدخل
على المفرد والجملة، فإذا كان المعطوف بها جملة دلّت على انتهاء الغرض
والاستئناف، مثل: محمد طبيبا بل هو صيدلي.

- يأتي المعطوف به مفردا بعد نفي أو نهي، فهو لتثبيت حكم ما قبلها، مثل: ما درس محمد
بل خالد²، ففي هذا المثال نفيت الدراسة من محمد وتثبت لخالد.

يرد الإضراب على نوعين وهما:

إضراب إبطالي: تكون فيه الجملة الموالية إبطالا لمعنى الجملة التي قبلها، نحو قوله تعالى:
﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) ﴾ [سورة المؤمنون: الآية
26]، فالجملة التي بعد " بل " - عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ - جاءت مبذلة للجملة قبل " بل "، أي -
اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ -.

إضراب انتقالي: فهو يعكس الإضراب الإبطالي، أي ينتقل من غرض إلى غرض آخر، نحو
قوله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ
وَأَبْقَى (17) ﴾ [سورة الأعلى: الآيات 15-16-17].

ففي قوله تعالى - ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى -، أي ذكر الله وعمل بأوامره واجتنب
نواهيه، ليتبعه القول الذي حدث فيه الإضراب الانتقالي في الآية - بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ

¹- ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص398.

²- ينظر: سلمان علي جاسم، موسوعة معاني الحروف العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، 2003م،
ص78.

الدُّنْيَا -، فهنا كان الانتقال من حال عبادة الله إلى حال من فضل الحياة الدنيا على الآخرة.

استعمالات " بل " في القرآن الكريم:

وردت " بل " في عدة مواضع من القرآن على أنها عاطفة للجمل، نحو قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(135) ﴿ [سورة البقرة: الآية 135]، وجاءت الجملة في الآية - بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا -

مقدّرة¹، والحرف " بل " العاطفة للجملة عندما تقيد الإضراب ترد على نوعين، وهما:

إضراب إبطالي وإضراب انتقالي، وكليهما ورد في القرآن الكريم²، نحو قوله تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:

الآية 70]، وهنا جاء الإبطال في الجملة الثانية، حيث كان ردًا من القرآن، أي - بَلْ

جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ

كَارِهُونَ -، وفيه إبطال لقول البشر، أي - يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ -.

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (4) بَلْ كَذَّبُوا

بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ (5) ﴿ [سورة ق: الآيات 4-5].

أما هنا جاء الانتقال في الجملة من الآية - قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا

كِتَابٌ حَفِيظٌ -، ودلّ ما تتركه الأرض من أجسامه، وهذا التّغيير وارد في الكتاب فهو أعلم

بحالهم، ليكون الانتقال هنا عن طريق الآية - بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ

-، فالمشركون هنا كذبوا بهذا الأمر وهم في اضطراب لا يستون على أمر.

عاشرا: حرف " لا ":

هو من بين حروف المعاني، " وهو حرف عطف يفيد نفي الحكم عن المعطوف بعد

ثبوته للمعطوف عليه"³، مثل: أحبّ المثابر لا الكسول، ففي هذا المثال الحرف " لا " هي

¹ - ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص337.

² - ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

³ - حسن عباس، النحو الوافي، ط04، دار المعارف، مصر، ج03، ص618.

حرف عطف ونفي، و(الكسول) معطوف على (المثابر)، والحكم الثابت للمعطوف عليه هو حبّ المثابر، وقد نفي عن المعطوف (الكسول) بأداة نفي (لا).

يكون حرف " لا " حرفا عاطفا بشروط، وهي:

- 1- أن يرد المعطوف مفردا لا جملة، مثل: ينتصر الحق لا الباطل.
- 2- أن تسبق بكلام مثبت (غير منفي)، أو أمر، أو نداء، مثل: قاصص الكسول لا المجتهد.
- 3- ألا يصدق أحد معطوفيها على الآخر، لذلك لا يجوز مثل: لا يصح أن تقول أكلت تفاحا لا فاكهة، لأن الفاكهة (المعطوف) تشمل المعطوف عليه وهو التفاح ويصدق اسمها عليها، يصح قول: أكلت فاكهة لا خبزا.

- 4- ألا تقترن (لا) بعاطف، لأن حرف العطف لا يقترن بعطف آخر، مثل: شرح الأستاذ لا بل الطالب، حرف (لا) في هذا المثال ليست عاطفة إنما هي نافية¹.
- حرف (لا) لم يرد بمعنى العطف في القرآن الكريم، وإنما له معاني أخرى نحو قوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33) ﴾ [سورة الواقعة: الآيات 32-33]، وقد وردت " لا " بمعنى الموالاة، فهي تتبع الجملة الأولى في الآية ﴿ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ﴾، وفي هذا المثال نجد أبا عبيدة أطلق الموالاة على العطف، ما يستدلّ به على أنّ " لا " عاطفة في الآية، لكن معظم النحاة خالفوه الرأي².

توصّلنا في هذا الفصل النظري المعنون بـ " العطف في الدرس البلاغي قديما وحديثا " إلى تعريف البلاغة ونشأتها وأقسامها وكذا علاقتها بالعلوم الأخرى وكذا العطف وأنواعه وحروفه ومعانيها وأحكامها. فالبلاغة وعلومها الثلاثة (المعاني - البيان - البديع) أثر مميّز يبقى في أذهان السّامع. تمّ أيضا اكتشاف العلاقة بين البلاغة ولسانيات النصّ وعلم النّحو، وكذلك أسلوب العطف الذي هو موضوع نحوي يندرج ضمن التّوابع، وأنّ العطف وأنواعه دور كبير في الفصل والوصل، يربط المفردات والجمل.

¹- ينظر: حسن عباس، النّحو الوافي، ص619-620-621.

²- ينظر: حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص422.

الفصل الثاني: الأثر البلاغي لأساليب العطف في سورة الزخرف

المبحث الأول: بلاغة العطف في الكلمة:

المطلب الأول: دلالة العطف بـ "الواو".

المطلب الثاني: دلالة العطف بـ "الفاء".

المبحث الثاني: بلاغة العطف في التراكيب:

المطلب الأول: دلالة العطف بـ "الواو".

المطلب الثاني: دلالة العطف بـ "الفاء".

المطلب الثالث: دلالة العطف بـ "ثم".

الفصل الثاني: الأثر البلاغي لأساليب العطف في سورة الزخرف

يُعدّ القرآن الكريم معجزة نزل على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما له من بلاغة التعبير في سوره، يعجز البشر على الإتيان بمثله، ورغم كون الرسول أمي، إلا أنه تحدّى به العلماء الذين لم يكونوا على دراية به، وهو وحي من عند الله تعالى، وفي هذا الجانب تمّ دراسة سورة الزخرف، التي كانت حجة وآية صدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي قمنا فيها بذكر أساليب العطف وأثرها البلاغي في آيات السورة، وهذه الأساليب هي: الواو - الفاء - ثم - أم - بل - أو - حتى - لكن - إما - لا.

القرآن الكريم في عرف الاصطلاح لدى المفسرين والعلماء "هو كلام الله المنزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للبيان والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبّد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر جيلا عن جيل"¹. فنحن بصدد دراسة نص من مدونة مقدسة، لها خصوصيات إلهية؛ إذ تعدّ سورة الزخرف التي اخترناها أنموذجا لكلام الله، وسورة مكيّة، هذا ما اتفق عليه "ابن عطية" وغيره، إلا أن ما روي عن قتادة وعبد الرحمن بن يزيد بن أسلم أنهم استثنوا الآية²، ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ (45)﴾ [سورة الزخرف: الآية 45]. كما هناك اختلاف حول عدد آياتها، فالبعض أكد على أنها تسعا وثمانين آية، والبعض الآخر أقرّ بأنها ثمانيا وثمانين³. أما ترتيبها في النزول فقد نزلت قبل الهجرة بمكة، وهي تعدّ من الحواميم، وردت بمرتبة الثانية والسنتين في ترتيب نزول السور، بعد سورة فصلت وقبل سورة الدخان، وأمّا ترتيبها في

¹ - عبد القيوم بن عبد الغفور السّندي، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، (د. ط)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (د. ت)، ص152.

² - ينظر: بن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتّوير، ص157.

³ - ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

المصحف كانت برتبة الثالثة والأربعين بعد سورة الشورى وقبل سورة الدخان¹.

إذن، هذه بطاقة النص القرآني الذي سنتخذها أنموذجاً للتفتيش عن بلاغة أسلوب العطف فيه، ذلك أنه رغم تأثر علوم العربية بمباحث القرآن الكريم، واحتوائها على تراث واسع من النصوص الأدبية، إلا أنها تظل بحاجة إلى النص السماوي وخصائصه البلاغية، خاصة أنه نزل بلغتها، وفيه جانب أصيل من جوانب إعجازه.

كما أقرت ذلك نظرية النظم التي تقيد التركيب النحوي الذي يساهم في إيصال المعنى بعضه ببعض، والذي يترتب عليه إحداث الأثر البلاغي في التعبير، خاصة فيما يتعلق بأساليب العطف في القرآن الكريم، حيث يتضح لنا الإعجاز البلاغي في أساليب العطف التي تعرض لها المفسرون.

ففي دراسة سورة الزخرف لوحظ استعمال حروف العطف فيها بكثرة، وقد اختلفت معانيها حسب السياق الذي وردت فيه في الآية، وهو السبب المباشر للاستعانة بشواهد من هذه السورة، فكان الاعتماد على مبحثين في طريقة التحليل، فالأول معنون العطف وبلاغة الكلمة، أما الثاني معنون بالعطف وبلاغة التراكيب، وتم انتقاء بثلاثة نماذج لأساليب العطف وهي: الواو، الفاء، ثم في كلا المبحثين، والتي سيتم معالجتها على النحو التالي:

المبحث الأول: بلاغة العطف في الكلمة:

المطلب الأول: بلاغة العطف بـ "الواو":

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (09) ﴾ [سورة الزخرف: الآية 09].

أسلوب العطف في هذه الآية هو: الواو، أفاد الاشتراك في الخلق، عطف الواو كلمة "الأرض" على "السَّمَاوَاتِ"، ما يدل على أن الله تعالى هو خالق الأرض والسَّمَاوَاتِ بالاشتراك في الحكم على عملية الخلق، كما يتضح من الآية اعتراف المشركين بخلق الله، أي: "لَيَقُولُنَّ"

¹- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص158.

خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ "، وبالنسبة لهذه الصفتين ليستا من مقول جوابهم إنّما تمّ حكي قولهم بالمعنى، فحين كان جوابهم "خلقهنّ الله" وقد حذف الموصوف وهو الله¹، كما ورد ذلك عنهم في سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25) ﴾ [سورة لقمان: الآية 25].

وكان المعنى الأصلي اعترافهم بوجود الربوبية وأنه الخالق للكون، ومع ذلك يتركون عبادة الله كإله، ويستمرّون في عبادة الأصنام، ما دلّ على أنّ إشراكهم كان بالوساطة بين الربوبية والألوهية، لذا كانت الإفادة من حذف الموصوف وهو "الله تعالى" في الآية، فيه عدول عن المعنى "العزير العليم"، وكان الانزياح لزيادة التأكيد لهم بأنّ الذي انصرفوا عن توحيدهِ بالعبادة مع إقرارهم بربوبيّته، وهو الواحد الأحد الذي يجب عبادته، وهنا يكمن الأثر البلاغي في هذا العدول، فمن خلال هذا الفرق بين اعترافهم بأنّ هناك خالق للكون وإبقائهم على أعمالهم، جاء التعبير بطريقة خفية زادت من بلاغة العطف في الآية.

بالإضافة إلى وجود عطف التراكيب في بداية هذه الآية، أيّ ﴿ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾، وكان العطف أيضا هنا بـ "الواو"، والذي أفاد الغرض من خطاب الرسول صلّى الله عليه وسلّم الذي كان صريحا، وقد تمّ عطف الآية ﴿ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾ على الآية التي قبلها ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾ وكان المقصود من الكلام في الآية الرسول صلّى الله عليه وسلّم من أجل مواساته ووعده بالنصر، أمّا بالنسبة للآية التي تمّ عطفها على سابقتها ﴿ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾، وكان الخطاب أيضا فيها موجّها للرسول صلّى الله عليه وسلّم، إذ أفاد عطف غرض التعجب من حال المشركين الذي كذبوا الرسول صلّى الله عليه وسلّم، أثناء دعائه لهم إلى توحيد وعبادة الله تعالى وترك عبادة الأصنام، فهم يعترفون بوجود الله تعالى ولكن لا يعبدونه، فجاء الكلام باللام الموطئة للقسم والجواب، ونون التوكيد في " لئن " توكيد على

¹ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتأوير، ص 169.

ترددهم، وفي هذا الكلام كناية عن التعجب من تفكيرهم المعاكس لعقيدتهم¹، وكان التعبير في هذه الحالة بشكل بلاغي، حيث توافق الغرض من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، والتعجب من حال المشركين، وكانت الإشارة إلى إغفالهم بطريقة بلاغية، وكان الانتقال إلى الاحتجاج على بطلان إشراك الكفار إقرارهم أن الخالق هو الله، ورغم ذلك يستمرّون على ضلالهم²، فقد زاد هذا التعبير بأسلوب خفي من بلاغة العطف في القرآن.

- قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10)﴾
[سورة الزخرف: الآية 10].

أفاد " الواو " الرّبط بين عبارة " جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا " معطوف على عبارة " الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا "، فكان الرّبط بين الأرض التي جعلها كالفرش لينتقل الخلق بين أماكنها، فالأرض موضع للراحة واقتناء العيش³، فكان التعبير هنا بشكل إعجاز على أعظم نعم الخلق وهي الأرض التي نعيش فيها، وجاء أسلوب الرّبط وفق سياق الآية مجاوز حدّ الخفاء بشكل العدول بين معاني الآية، والتي أسفرت عن ظهور الأثر البلاغي الموافق لهذا التعبير.

- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12)﴾
[سورة الزخرف: الآية 12].

الواو عاطفة، أفادت عطف الخاصّ على العامّ، أفاد الاشتراك كون عطف " الأنعام " على " الفلك "، وهي وسائل تساهم في تحصيل المنافع لدى الإنسان، وقد جاء التعبير بشكل بياني في " الأنعام "، التي هي وسيلة التنقل براً وهي مخلوقة، وهي المقصودة في الآية " خَلَقَ الْأَزْوَاجَ "، إذ لم تأتي بعدها مباشرة كي لا تكون مكرّرة، وهي عاطفة على " الفلك "

¹- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، ص168.

²- ينظر: المرجع، الصّفحة نفسها.

³- ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط01، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1365هـ-

1964م، ج25، ص73.

التي سبقت بـ "جعل"، فأنت على هذا السياق وكونها مصنوعة، وهي وسيلة للسفر بحرا، وقد تمّ إدماجها بوسيلة السفر برا¹ بشكل إجازي، لما له من أثر بلاغي في الآية، بالإضافة إلى كون هذه الوسائل أيضا عاطفة بـ "الواو" على "الأزواج"، والتي أفادت عطف الخاص على العام، بحيث يكون الفلك والأنعام جزء من الأزواج التي هي الأشمل.

وبالنسبة لقوله تعالى: "مَا تَرْكَبُونَ"، فكان في الآية من الفلك والأنعام دور في توضيح إبهام "ما" الموصولة، فتمّ حذف الدال على الصلة، لأنه منصوب وغلبت عليه التقديّة، وجاءت لفظة "تَرْكَبُونَ" مفعول مبني بـ "الفلك" و"الأنعام"، ويفهم الغرض من استعماله في الآية حقيقيا وكذلك مجازيا، وباستعمال هذا الأسلوب في الآية نكتشف بأن الله تعالى زود الإنسان عقلا للتفكير في كيفية استعمال هذه الوسائل، وقد كان في هذا الانتقال في المعاني عدولا عن أصلها، والتي كانت دلالتها بأثر بلاغي يخدم مقام الآية.

- قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (19) [سورة الزخرف: الآية 19].

الواو عاطفة، أفادت الرّبط بين المفردات في جمل واحدة، أي "يُسْأَلُونَ" على "سُكْتُبُ"، من خلال دلالة الآية على حكم المشركين بأنّ الملائكة، التي هي من أكرم عباد الرحمن عند الله إناثا ونسبها إلى الله تعالى، إذ ورد الاستفهام الإنكاري في "أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ"، بمعنى لم يشهدوا خلقهم وهؤلاء الكفار ناكرون للنّبوة بدون دليل²، فجاء هذا التعبير على شكل انزياح عن المعنى الأصلي، لما له من أثر بلاغي، ليأتي تهديد الله تعالى لهم في قوله: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾، أي ذمهم ووعدهم بالعذاب الشديد على تقليدهم لكفر أوليائهم دون الأدلّة، وعبادتهم الأصنام³، بأسلوب خفيّ جاوز حدّ الإعجاز، كما عمل عطف

¹- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتّوير، ص172.

²- ينظر: محمد الرّازي فخر الدّين، تفسير الفخر الرّازي المشتهر بالتّفكير الكبير ومفاتيح الغيب، ط01، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان- بيروت، 1401هـ- 1981م، ج27، ص203.

³- ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

الرّبط بين المفردات التي جاءت وفق السياق المناسب على زيادة بلاغة العطف في الآية.
- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26)﴾ [سورة الزّخرف: الآية 26].

أفادت الواو الثانية في الآية عطف الجمع في تبرئة إبراهيم عليه السّلام مع قومه وأبيه، ومن نظائر هذه الآية نجد قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (04)﴾ [سورة الممتحنة: الآية 04].

فكانت تبرئة إبراهيم من أبيه أولاً، بالرّغم من كونه أقرب النّاس إليه، فقد أنكره¹، كونه طاغ يدعو إلى الإشراف بالله، كما تبرأ إبراهيم أيضاً من قومه والأصنام التي يعبدونها جميعاً، فكان التّعبير بشكل عدول في الآية احتوى على الأثر البلاغي، وما زاد من هذه البلاغة الجمع بالعطف في تبرئة إبراهيم من أبيه وقومه.

بالإضافة إلى احتواء الآية كذلك على عطف بلاغة التراكيب في بدايتها، أي: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ على الآيات السابقة:

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23)﴾ قَالَ أُولُو حِجْنُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (25)﴾ [سورة الزّخرف: الآيات 23-24-25].

فأفاد الواو عطف إنكار إبراهيم الأقسام التي تعبد الأصنام، كونها المصدر الرئيسي للشرك كما أنكر عبادة الأصنام أيضاً، فاحتوت الآية على الأذى " إذ "، والتي تعلقت

¹ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتّوير، ص192.

بمحذوف¹، تقديره " واذكر إذ قال إبراهيم "، كما نجد مثلتها في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)﴾ [سورة البقرة: الآية 30].

فكانت قصة إبراهيم قدوة لإبطال زعم الكفار في قولهم " وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ "، فكيف يتبعون أوليائهم المسرفين، وينصرفون عن الاقتداء بمن هو أفضل لهم وهو إبراهيم عليه السلام².

فالتعبير في هذه الآية أتى بشكل خفي انزياحا عن المعاني الأصلية، ولتوفر التناسق بين هذه الفروقات نتج عنه أثر بلاغي في القرآن جاء بأسلوب بياني، كما ساعد العطف على تقوية هذا الأثر البلاغي وفق سياق الآية.

- قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيُصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ (37)﴾ [سورة الزخرف: الآية 37].

أفاد "الواو" عطف المضمرة ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ على المضمرة "إنهم"، وكان التقدير "يحسب المصدون ويرون أنهم مهتدون"، فحسب زعمهم أنهم على طريق الهداية الموصل إلى المقصود³، وفي هذا التعبير كان الانزياح عن المعنى الأصلي فهم قد استهدوا بقوم أضلّوهم وأبعدوهم عن الطريق المؤدي إلى المرغوب، فنتج على هذا الانزياح أثر بلاغي خدم سياق الآية. بالإضافة إلى وجود عطف التركيب في بداية الآية بـ "الواو"، التي أفادت مخالفة التوافق بعطف الجملة الخبرية ﴿إِنَّهُمْ لَيُصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ على الجملة الإنشائية ﴿مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾، وهذا وارد بشكل عدول عن

¹- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتأويل، ص192.

²- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³- ينظر: شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي - محي الدين الحنفي، الحاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي (د. ط)، - مكتبة الحقيقة -، تركيا، ج04، ص201.

المعنى الأصلي لما له من أثر بلاغي في البيان القرآني، والذي جاء بأسلوب خفي بين الآيتين، كما ذكر الشيطان في الآية السابقة، وما له من علاقة بهذه الآية، فهو الذي يصد عن طريق الحق، زعماً أنه على طريق الهدى وعلى المشركين اتباعه في ذلك¹، وكان في هذا التعبير البلاغي تناسق بأسلوب العطف الذي جاء وفق سياق الآية.

- قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (48) [سورة الزخرف: الآية 48].

الواو أفاد عطف التفصيل، حيث عطف عبارة ﴿ مَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ على عبارة ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾، وقد كان لاقتران الواو بما التافية في إطار عطف المفردات انزياحاً نتج عنه معنى بلاغي، والذي ورد بشكل خفي في البيان القرآني، حيث تم وصف الآيات بالكبر والتفاوت فيما بينها من حيث الحجم والدلالة، وفي هذا نجد دلالة التفصيل بين الناس لمعاني الآيات وحتى في أمورهم الأخرى، فوصف الآيات بالكبر جاء على شكل مجاز زاد من قوة البلاغة، كما أنّ لأسلوب العطف دور في تناسق المفردات وفق سياق الآية، كما له أثر بلاغي في التأثير على حسّ الناس².

المطلب الثاني: دلالة العطف بـ "الفاء":

- قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (11) [سورة الزخرف: الآية 11].

أفاد " الفاء الالتفات من الغيبة إلى التكلّم بعطف ﴿ أَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾ على ﴿ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾، والقصد الالتفات من الغيبة أي من المتكلم على أنه غائب في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾، إلى التكلّم في الآية ﴿ فَأَنْشَرْنَا

¹ - ينظر: شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي - محي الدين الحنفي، الحاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ص201.

² - ينظر: الدرويش محي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ص94.

بِهِ بَلَدَةٌ مِثًّا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾، فكان لمجيء أنشرنا بمعنى أحيينا على صيغة المجاز، إذ كان إحياء الأرض على سبيل المجاز، ومجيء كلمة (بلدة) مؤنث ووصفت بكلمة (ميتت) وهي مذكر، فكان الوصف بشكل حسن، حيث كان مقدّمة لقوله: ﴿ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾، التي جاءت بين المتعاطفين بشكل إعجازي خفيّ، وهو استطراد للاستدلال على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من إثبات البعث وانفراد الله بالألوهيّة، وقد كانت العلاقة بين أنشرنا وتخرجون متناسقة، كذلك الانتشار تخرجون من الأرض¹، وهذا ما رفع من مستوى البيان في التعبير، فكان له أثر بلاغي قويّ، من خلال هذه الانزياحات التي كنت وفق السياق القرآني.

- قال الله تعالى: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (25) ﴾ [سورة الزخرف: الآية 25].

الفاء الثانية في الآية عاطفة أفادت التدبّر في العبارة "فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ" المعطوفة على عبارة "فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ"، في الآية دلالة على طمأنة الرسول صلى الله عليه وسلم ليتدبّر ويتأمّل في حالتهم بعد جهلهم وإشراكهم به²، فكان التعبير في الآية بشكل خفي له أثره البلاغي، بالإضافة إلى تواجد عطف التراكيب في بداية الآية، فالفاء الأولى أفادت التعقيب بعطف جملة " انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ " على جملة " قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ "، إذ كان تهديد كفّار قريش بالانتقام عقب تكذيبهم للرسل ورسالاتهم، وكون الله تعالى مع رسوله لن يتركه³، فكان الانتقال بطريقة بلاغيّة بين معاني الآيات والتعقيب بين حالة الكفّار وعذاب الله الذي حلّ بهم على ما كانوا يكذبون برسالته، فكانت بلاغة العطف ملائمة لسياق الآية.

- قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) ﴾ [سورة الزخرف: الآية 27].

الفاء عاطفة أفادت استدلال عبارة " إِنَّهُ سَيَهْدِينِ " على "الَّذِي فَطَرَنِي"، وكان المعنى من الآية تكملة لمعنى الآية التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ

¹- ينظر: بن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ص171.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص191.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص190.

إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾، ليأتي أسلوب العطف بـ "الفاء" كونه المناسب في مقام الآية، ف جاء بشكل بلاغي يستدل به على أن ذات الله تعالى مخالفة للذوات التي يعبدها المشركون، واستثنى إبراهيم الله من عبادتهم، وهو الذي يهديه، وكان ذلك بطريقة العدول في تكملة الآية معنى التي سبقتها بشكل خفي، وكان لهذا التعبير أثر بلاغي يخدم السياق، فعمل على تجاوز حدّ البيان، باستخدام أسلوب العطف للاستدلال، والذي يساعد على تحقيق العطف في الآية¹.

- قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (41)﴾ [سورة الزخرف: الآية 41].
الفاء الثانية أفادت عطف التأكيد في عبارة "إِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ" المعطوفة على عبارة "فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ"، فقد جاء تأكيد الله ووعده المسرفين بالعذاب، سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته، فأحقّ عليهم الانتقام في الدنيا والآخرة²، وكان في هذا التعبير عدولا في الانتقال من فترة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فترة عقاب المشركين على أفعالهم، فكان لهذا الأسلوب أثر بلاغي يتناسب مع مقام الآية، بالإضافة إلى وجود عطف بلاغة التراكيب في بداية الآية بـ "الفاء" الأولى، التي أفادت غرض التثبيس بعطف جملة "إِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ" على جملة "أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"، بحيث دلّت الآية على أنه مهما كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على دعوة المشركين ومحاولة إدخال التذكير إلى قلوبهم، إلا أنّ حالتهم ميؤوس منها³، ففي الآية إيماء بأسلوب العطف بطريقة بلاغية جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يتيقن من عدم إيمان الكفار، ففي هذا الأسلوب لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم، جاء بطريقة الانزياح التي تجاوزت حدّ الإعجاز بشكل خفي له أثره البلاغي.

¹- ينظر: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ-1998م، ج05، ص134.

²- ينظر: بن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتثوير، ص217.

³- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يمكننا أن نخلص إلى أن الآيات المحللة تزخر بأساليب العطف التي تختلف معانيها حسب المقام، كما احتوت كل آية على عدول في طريقة الانتقال والربط بين معانيها، وكان التعبير عن الفروقات الواردة في الآيات على شكل انزياحات، ما نتج عنه الأثر البلاغي الذي يفهم من سياق الآيات القرآنية، والتي جاءت معانيها متصلة فيما بينها. كما تميّزت أغلب الآيات بعباراتها المرتبطة فيما بينها، إذ نلاحظ بأنّ في آية واحدة تمّ عطف كلمة على كلمة بما يسمّى بالعطف المتّصل، كما يمكن أن يعطف أيضا آية على سابقتها دون فاصل.

المبحث الثاني: بلاغة العطف في التراكيب:

المطلب الأول: بلاغة العطف بـ "الواو":

- قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ (04)﴾ [سورة الزخرف: الآية 04].
أفاد "الواو" تصوّر التوافق في عطف جملة جواب القسم الثاني في الآية "إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ" على نظيرتها في الآية السابقة "إِنَّا جَعَلْنَاهُ"، فأَنَّ العطف في هذه الآية يلقي بضلال خاصة على المتعاطفين، من حيث صلة جعله قرينا بأهل الكتاب أي اللوح المحفوظ.
ومن خلال هذا العدول يتّضح الأثر البلاغي، وما له من علاقة بالعطف في هذه الآية على أنّ جواب القسم تمّ بالتوافق بين المعطوف والمعطوف عليه، كونهما من صنف واحد¹، إذ تحققت دلالات التوافق التي أشار إليها القرآن الكريم بأسلوب خفيّ، ممّا يرفع من قيمة الإعجاز بالتعبير، وفيه إشعار بأنّه جاوز حدّ البيان، ففيه عدولا يشير إلى الأثر البلاغي في الآية.

- قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (06)﴾ [سورة الزخرف: الآية 06].
أفاد "الواو" الربط بعطف قصّة على قصّة أخرى، فجملة "كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ" معطوفة على جملة "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا"، ففي الآية إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّ ما يأتيه من أذى من قومه قد وقع لغيره من الأنبياء قبله مع أقوامهم، وفي ذلك تسليّة

¹- ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ص60.

وتحصيل الصبر لديه على تكذيب قومه لرسالته¹، فكان لانتقال التعبير بين القصتين عدولا، نتج عنه أثر بلاغي مرتبطا بعطف الرّبط وفق سياق الآية.

- قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (14)﴾ [سورة الزّخرف: الآية 14].

أفاد العطف في الآية مخالفة التّوافق، حيث تمّ فيه عطف الجملة الخبرية "إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ" على الجملة الإنشائية "وَجَعَلْ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ"، فمعنى الآية الأولى قد خالف التّوافق، كون وجود الاعتراف فيه بأنّ الخلق بعد الممات يصير إلى الله تعالى، والانقلاب إلى مكان البعث والحساب والجزاء، وفيه تعريض بتوبيخ المشركين على كفرهم بنعمة الله، وهذا بالتسبة للآية التي احتوت على الجملة الإنشائية، كان القصد منها الشكر بالقلب واللسان، فهذا ينطبق مع المؤمنين بشكرهم لله على ما سخّر لهم من وسائل السفر لاقتناء عيشتهم، بعكس حالة المشركين الذين تغاضوا عن شكر الله²، وجاء التّعبير على هذه الفروقات بأسلوب خفيّ، كان على شكل انزياح عن المعاني الأصلية بطريقة بلاغية، زادها أسلوب العطف قوّة والذي ورد بين الإنشاء والخبر، وفق سياق الآية.

- قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (15)﴾ [سورة الزّخرف: الآية 15].

أفاد "الواو" عطف الحال على المعنى في جملة "جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا" على جملة "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ"، بحيث علوا له شركاء في الألوهية، إذ ينسبون البنات لله وهي مخلوقاته، لتأتي الإشارة في الآية "مِنْ عِبَادِهِ" إلى وقوعهم في تناقض، فكيف يمكن أن يكون لخالق كلّ شيء بنات وهي مخلوقاته³.

فكان للتّعبير على هذا التّناقض أثر بلاغي، حيث عمل أسلوب العطف في الآية ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ من هذه البلاغة، بمعنى لو تسألهم

¹ - ينظر: محمّد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّوير، ص165.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج25، ص175.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج25، ص176.

عن خالق الوجود يعترفون به ولأجابوك هو الله، فظهرت بلاغة العطف خلال التّعجب من حالهم والتناقض في آرائهم، فمع اعترافهم بوحداية الله إلا أنهم يصرون بأن يجعلوا لله شركاء، وهذا كفر في نكران نعم الله¹، فقد كان الأسلوب في الآية على شكل انزياح بين الفروقات التي وردت في الآية، ما جعل التعبير يكون بشكل بلاغي وفق سياق الآية.

- قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (20) [سورة الزخرف: الآية 20].

أفاد حرف " الواو " الاستدلال بعطف عبارة " قَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ " على عبارة " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ".
ورد أسلوب العطف في الآية من خلال استدلال المشركين على أنّ الله تعالى هو الخالق، كما يستدلون أنّ الله تعالى رضي لهم عبادة الأصنام، التي هي الملائكة المحققة حسب زعمهم، كما تظهر بلاغة عطف مخالفة الاستدلال من خلال إتيان الله تعالى بإبطاله لاستدلالهم، بالرد عليهم في الآية ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾، فليس لهم أي دليل على كلامهم²، فكان لانتقال التعبير بين معاني الآيات، بشكل انزياح عن معانيها الأصلية نتج عنها أثر بلاغي توافق مع مقام الآية، كما تحققت بلاغة العطف بتأكيد ردّ الله تعالى على المشركين في الآية ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾، وفي هذا دلالة على كذب الكفار في افتراءهم على الله ما لم يؤدّنه لهم.

- قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ (23) [سورة الزخرف: الآية 23].

أفاد " الواو " الاعتراض بعطف جملة " كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ " على جملة " إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ "، فتمثّل العطف في اعتراض

¹ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتثوير، ج25، ص176.

² - ينظر: المراغي مصطفى أحمد، تفسير المراغي، ص78-79.

المشركين على ما جاءهم به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دين الحق، ويفهم من الآية بأن هناك رسلاً بُعثوا إلى أقوامهم فوجدوهم على طريق آباءهم مهتدون، ليعطف عليها أيضاً في هذه الآية قوله تعالى على قولهم " إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ "، فمهما حاول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إقناعهم باتّباع طريق الهدى، إلّا أنّهم يضلّون يدعون الاقتداء بأولياءهم، وحتّى وإن لم يهتدوا بهم¹.

فكان التّعبير بين الآيتين بشكل خفيّ، انتقل من معنى إلى معنى بالعدول عن المعاني الأصليّة، فنتج عنه أثر بلاغي يخدم سياق الآية.

- قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْلُو جِبْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24) ﴾ [سور الزّخرف: الآية 24].

" الواو " أفادت عطف الأمر في جملة " لَوْ جِبْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ " على جملة " إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ "، وقد جاء عطف الأمر بما سمي عطف التّلقين، فكان المراد من خطاب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿ أَوْلُو جِبْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾، حيث كان أسلوب العطف في الآية مسبوق بهمزة الاستفهام، بمعنى أتتبعون آثار آبائكم رغم مجيئي لكم بدين الحقّ، فهو يأمرهم إلى سبيل الرّشاد، كما يستفهم على حالتهم في الإشراك برغم ما أتاهم من الهداية، إلّا أنّ القصد من ردّ المشركين يسعى إلى تنييس الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حالتهم، فهم لن يهتدوا إلى دينه².

وقد جاء هذا بأسلوب خفيّ يخدم سياق الآية، فكان في التّعبير فرقا بين ما يأمر به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وردّ المشركين بطريقة العدول التي نتج عنها الأثر البلاغي، الذي كان بين الحالتين موافق للمقام عليه العظمة، لينفوها على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

¹ - ينظر: محمّد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّوير، ص 188.

² - ينظر: تفسير المراغي، ص 81.

عليه وسلّم كونه ليس بأهل للمال والجاه بالنسبة لهم، فالكلام في الآية كان أحقّ على كلامهم السابق، حيث اتّهموا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بأنّه لم يأتي بالقرآن من عند الله، بل جاء به على شكل سحر من عنده ليسحر به أعين النّاس¹.

فكان الأسلوب في هاتين الآيتين قد جاوز حدّ البيان، إذ لازم اختلاف الدّلالات انزياحا في طريقة التّعبير، والانتقال بين الإفادة من قولهم ما كان له أثر بلاغي حسب سياق الآية.

- قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (36) ﴿ [سورة الزّخرف: الآية 36].

أفاد " الواو " الاعتراض بعطف الجملة " مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ " على جملة " وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ "، ويبرز عطف الاعتراض في الآية من خلال تمثيل المشركين دور المغشي عليه أثناء سماعهم للقرآن، فرغم أنّهم يعلمون أنّه الحقّ من ربّهم إلّا أنّهم يُعرضون عليه، فقد كان التّعبير على موقفهم بشكل بياني يخدم العطف في الآية، إذ كان المشركين يحبّون المال، ويفتخرون بأنفسهم على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وينعتونه بالسّاحر، ويتعامون عن ذكر الرّحمن، مع أنّهم على يقين بأنّه طريق الهدى إلّا أنّهم يتجاهلونه، ويأتي وعد الله لهم بأن يسلّط عليهم شيطانا قرينا لهم في الدّنيا والآخرة يحثّهم على المعاصي، وفي هذا إشارة إلى أنّ الدّوام على نكر الله يصون من وسوس الشّيطان، وجاء هذا التّعبير بأسلوب خفيّ، وكان الانتقال بين معاني الآية فيه عدولا نتج عن الفوارق بينها، ما نتج عنه أثر بلاغي يخدم مقام الآية.

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (39) ﴿ [سورة الزّخرف: الآية 39].

أفاد " الواو " عطف الرّبط في جملة " لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ " على جملة " قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَنِيكَ بُعَدَ الْمَشْرِقَيْنِ "، ففي الآية وعد الله المشركين الذين أسرفوا في أعمالهم بأن

¹- ينظر: الحاشية على تفسير القاضي البيضاوي، ص 199.

لن ينفعهم أحد من أصحابهم أو أولادهم أو أموالهم يوم العذاب، فهم سيحاسبون حسابا عسيرا على كفرهم وإشراكهم بالله والرسول صلى الله عليه وسلم في الدنيا، فلن ينفعهم تمنّيهم بإرجاعهم إلى الدنيا ويكونوا من المحسنين، فكان عطف الرّبط هو المناسب في هذا المقام، بحيث ربط بين تمّي المسرفين بأن يُنقذوا من العذاب يوم وصولهم العقاب وبيان أمرهم، فكما كانوا يشتركون في كفرهم، وكانوا السّبب في القيام بالإشراك بالله، فسيشتركون كذلك في العذاب¹.

ورد التّعبير في الآية بشكل خفي جاوز حدّ البيان، امتاز بالعدول في الأسلوب الذي جاءت به المعاني، التي نتج عنها الأثر البلاغي الذي يخدم السياق القرآني.

- قال الله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ (45) ﴾ [سورة الزّخرف: الآية 45].

أفاد " الواو " عطف الأمر في جملة " اسأل مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا " على جملة " قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ "، وجاء الأمر وفق السياق الذي وردت فيه الآية: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾، التي جاءت على شكل مجاز مرسل بصيغة سؤال تعلق بالرسول الذين جاؤوا قبل نبيّه صلى الله عليه وسلم والذين قدموا إلى أقوامهم، مشابهة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الكفر والطغيان².

وكان التّعبير في هذه الآية فيه انزياح عن المعاني الأصلية التي أدت إلى أثر بلاغي، إلى جانب استخدام أسلوب عطف الأمر، الذي يتناسب مع التّعبير البياني، الذي رفع من قوّة بلاغة العطف بشكل خفيّ جاوز حدّ الإعجاز.

المطلب الثاني: بلاغة العطف بـ "الفاء":

- قال الله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (05) ﴾ [سورة

¹ - ينظر: محمّد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي المُسمّى محاسن التّأويل، تعليق: محمّد فؤاد عبد الباقي، ط01، 1276هـ - 1957هـ، ص5383-5384.

² - ينظر: الدرويش محي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ص91.

الزخرف: الآية 05].

الفاء عاطفة أفادت عطف عامل حذف ونفي معموله، عطفت الجملة " نَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ " على الجملة " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "، فقط عطف عامل محذوف وبقي معموله، والتقدير "أنهلمكم فنضرب عنكم الذكر"، بحيث سبق أسلوب العطف بالاستفهام الإنكاري، والذي يشير إلى التساؤل بمعنى "أنترككم في شرككم وعصيانكم بدون هداية"، إلا أن من رحمة الله تعالى بهم رغم اعتراضهم يوماً، وذلك لطفاً بهم، ومع أن حالتهم تستدعي جعلهم يموتون على الضلال الذي هم فيه¹، وكان الغرض من حذف عامل وترك معموله والإبقاء على همزة الاستفهام ومجيء أسلوب العطف بشكل خطي في التعبير، والذي نتج عنه انزياحاً كان له الأثر البلاغي، والذي جاوز حد الإعجاز، ما زاد من بلاغة العطف بقوة، كونها خدمت البيان القرآني.

- قال الله تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (08) [سورة الزخرف: الآية 08].

وردت "الفاء" في الآية عاطفة أفادت الإضمار، وعطفت جملة " أَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا " على جملة " وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ".

فكانت بلاغة العطف في بعض المرتب على ما قبله "أَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا"، وفيه تحذير للأضعف الأقل حيلة أن يتجنب العصيان والخوف من الهلاك الذي نزل بأقوام أقوى منهم، وفي هذا إشارة إلى الوظيفة البلاغية للعطف التي تحققت بدلالة الإضمار، التي أشار إليها القرآن الكريم بطريقة غير مباشرة، ما زاد مستوى الإعجاز في التعبير.

فالأثر البلاغي وارد في الآية عن طريق أسلوب العطف الذي أفاد الإضمار، وفيه إشارة إلى أن المضمرة تجاوز حد البيان بأسلوب خفي².

¹ - ينظر: المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ص 68-69.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 69.

وقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (43) [سورة

الزخرف: الآية 43].

جاءت " الفاء " عاطفة إذ أفادت عطف الأمر، وعطفت عبارة " استمسك بالذي أُوحِيَ إِلَيْكَ " على عبارة " فإمّا نذهبنّ بك فإنا منهم مُنقِمونَ ".

جاءت بلاغة عطف الأمر في الآية بعد أن كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصاً على دعوته للمشركين إلى الإيمان وعبادة الله تعالى، ليأتي أمره تعالى في الآية: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، فقد وعده الله تعالى بالنصر وأن يستمرّ على دينه والافتداء بالقرآن الذي أوحاه إليه، فهو طريق الهدى والثبات¹، وقد استعمل أسلوب العطف في التعبير بشكل جاوز حدّ الخفاء فيه الانزياح، الذي كان إثر الانتقال في المعاني بأسلوب متناسق ما زاد الإعجاز في الآية، والذي نتج عنه الأثر البلاغي الذي يخدم المعنى.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴾ (46) [سورة الزخرف: الآية 46].

حرف " الفاء " عاطفة، أفادت عطف السابق على اللاحق، عطفت جملة " قَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " على جملة " لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ "، وأنت بلاغة عطف السابق على اللاحق، كون قصة موسى عليه السلام أسبق في الزمن، وعطفت على قصة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي اللاحقة، ولكن من حيث الرتبة كانت قصة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى بدليل بذكر الله تعالى في أول السورة قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾ (6) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (7) [سورة الزخرف: الآيات 6-7]، وكما تمّ التذكير بقصة إبراهيم عليه السلام، وكيف كانت مقابلته من طرف قومه، وكان التعبير على هذا بشكل بياني، ليعبر عن حال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع

¹ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتؤوير، ص 219.

طغاة قومه، واستهزائهم بموسى عليه السلام من طرف فرعون وملايئه، فكان الهدف من ضرب هذه المثل إبراز الحقائق والعواقب التي تلحق بالفئة التي عصت الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا محالة أن يلحق بما لحق بالفئة الأولى¹.

- قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [سورة الزخرف: الآية 47].

"الفاء" عاطفة أفادت عطف عامل محذوف وكان التقدير " لَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ" على الآية السابقة: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

جاءت بلاغة عطف العامل المحذوف، وكان التقدير " فلما جاءهم بآياتنا فجاءوا إذ هم منها يضحكون "، حيث جاءهم بالأدلة على ربوبية الله تعالى وأنه الأحق بالعبادة وحده لا شريك له، إلا أن فرعون وقومه استهزئوا به كما استهزأ قوم قريش بالرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أتى هذا التعبير بأسلوب خفي مستخدماً عطف عامل محذوف، لما له من أثر بلاغي من الآية، والعبارة منها التخفيف على الرسول صلى الله عليه وسلم وتسليته²، فما تلقاه من الشرك من طرف قومه، قد مرّ رسل من قبله على هذا النهج من الشرك من قبل أقوامهم، وهذا من أجل تدعيم الرسول صلى الله عليه وسلم وصبره على أذاهم فيسعلو أمره على المشركين، فجاءت معاني الآية في هذا الصدد بشكل حقق بلاغة العطف³.

فكان العدول في التعبير من خلال الفرق الذي كان بين الحالتين، وكان هذا بأسلوب خفي بلغ حد الإعجاز، فمن خلال هذا التعبير والعدول الذي كان إثر هذه الفروقات جاءت البلاغة موافقة لمعاني الآية.

¹- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص223.

²- ينظر: الدرويش محي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ص92.

³- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المطلب الثالث: بلاغة العطف بـ "ثم":

قال الله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13)﴾ [سورة الزخرف: الآية 13]. أفاد "ثم" في الآية مطلق الجمع بعطف الجملة "تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ" على الجملة "لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ"، فضمير ظهور يعود إلى "ما" الموصولة قبل تركبون، بمعنى الاستواء على ظهور الأنعام أو المكان المرتفع من السفن، فكان جمع الظهور من جمع المشترك والتعدية بحرف الجرّ على، بحيث كان القصد في قوله: "لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ" بيان على ذكر نعمة الله، بمجيء العطف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾، فإثناء التمتع بالنعم يقع أثر على النفس يجعلها تحمد الله على خيره، فقد جاءت دلالة الآية تعريضا على الكفار، الذين يشتغلون في نعم لله دون الاعتراف بشكره، إنّما جعلوا له في العبادة شركاء لم يرزقهم بالمنافع¹.

فكان لأسلوب العطف بـ "ثم" الأثر العميق والبالغ في إفادة الدلالة الخفية والسرّ البلاغي، فتمّ تخريج الآية بطريقة بلاغية، كما جاء العدول الذي وقع بأسلوب العطف "ثم" عن معناه الأصلي إلى الجمع المطلق الخاص بالواو، وأنتج أثر بلاغي وفق إعجاز الآية. كما ورد العطف أيضا في الجملة "تَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا" على جملة "تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ"، إذ أفاد "الواو" التسييح والشكر، بمعنى شكر الله تعالى بالقلب واللسان، فقد ألزمهم الله الشكر عناية به، مثل الحمد في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (01)﴾ [سورة الفاتحة: الآية 01] والدعاء في سورة البقرة في قوله تعالى أيضا: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)﴾ [سورة

¹ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص175.

البقرة: الآية 286].

وكان المعنى في الآية من سورة الزخرف الثناء على الله بالشكر، واجتناب نعته بما لا يليق به جلّ وعلا، فارتبط الموصول بعلة التسبيح حتى يصير الحمد، فهو الذي يسخر ويرزقنا الأنعام، والتفكير في طريقة استخدامها، كما عقب القول بـ "وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ"، أي عدم قدرة البشر لولا القوة التي منحها الله إياها، خاصة الجسدية المقصودة في الآية، فكانت دلالة الخاتمة في الآية الإقرار بالبعث، وأن مرجع البشر إلى الله تعالى¹.

ونظرا للانزياحات التي وقعت في الانتقال بين معاني الآية واستعمال الأسلوب الخفي، كان دليلا لما احتوته الآية من البلاغة القرآنية. ورد في أغلب آيات المبحث الثاني "العطف المنفصل"، كونه يفصل بين آية وأخرى بمسافة، كما لوحظ أن أغلب الآيات أيضا عطفت على آية قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23)﴾ [سورة الزخرف: الآية 23]، كون هذه الآية جاء بعد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة المشركين إلى رسالة الله تعالى، فنزلت هذه الآية تثبت فؤاده، فقد أنزل رسل قبله ونادوا إلى كلمة الحق، إلا أنه تم معاملتهم بنفس الطريقة التي عاملوا بها الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تم التوصل أن هذه الآيات لا تخلو من الأثر البلاغي المتناسق مع معانيها.

¹ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتأويل، ص 175.

خاتمة

خاتمة:

توصّلنا في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج، فالحمد لله الذي تتمّ بنعمته الصّالحات، والتي يمكننا أن نجملها فيما يلي:

- اكتشاف قوّة البلاغة من خلال أبعادها الدلالية الدقيقة في أداء الأغراض والمقاصد، سواء نظرنا إلى علوم المعاني والبيان والبديع التي تتضمنها البلاغة، أو إلى العلاقات الرابطة بين البلاغة والنحو ولسانيّات النّص، أو إلى مباحث خاصة مثل أسلوب العطف.

- رصد البحث تنوعاً لمعاني حروف العطف التي كانت دائماً تؤدي دلالات أصلية كالجمع والترتيب والتراخي وغيرها من المعاني، هذا المستوى من الدلالة يمكن أن يكون المنطق لرصد تحولات الدلالة داخل النص القرآني، والانتقال من دلالة إلى أخرى.

- عدول بعض الحروف عن المعاني الأصليّة إلى معانٍ أخرى فرعيّة هو ما يسمح لنا بتسجيل التحولات الدلالية والانزياحات على مستوى الأسلوب؛ إذ يمكن لحروف العطف أن تعبر من الدلالة إلى دلالة أخرى تاركة أثراً بلاغياً.


- يُعتبر حرف "الواو" من أهمّ الحروف المستعملة في العطف داخل سورة الزخرف، وتعدّ استعمالات معانيه أكثر مقارنة مع الحروف الأخرى.

- ورود العطف بـ "الواو" بكثرة في سورة الزخرف، كما ورد أيضاً عطف الجمل في سورة الزخرف بكثرة مقارنة بعطف المفردات، وهذا يؤكد طبيعة العلاقة والتناسب بين موضوع سورة الزخرف باعتبارها نصاً واحداً، ودلالات الآيات في تراكيبيها ومفرداتها باعتبارها أجزاء للنص التي تتناسق معه.

- كان لاعتمادنا على النماذج الثلاثة (الواو - الفاء - ثم) في الجانب التّطبيقي، سواء على المستوى الإفرادي للكلمة أو المستوى التركيبي، دوراً في تجلية أبعاد بلاغة أسلوب العطف

في سورة الزخرف، ومن خلال التركيز على الدلالات الخفية والدقيقة التي أداها هذا الأسلوب، يمكننا أن نلمس جانبا مهماً من الأثر البلاغي للعطف الذي يصل حد الإعجاز، ولعل هذه النتيجة تحيلنا مباشرة نحول أهمية الوصل وعلاقته بنظرية النظم

للجرجاني التي تبقى أعظم نظرية في الأعجاز القرآني.
وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا ولو بعض الشيء للظفر بالمقصود، والوقوف على
بعض من قيمة التحليل اللغوي للنص القرآني.



قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

أولاً: المراجع

- 1- أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الشَّريف الجرجاني، كتاب التَّعريفات، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م.
- 2- أبو محمَّد بدر الدِّين حسن بن عبد الله بن علي المرادي، الجنيّ الداني في حرف المعاني، تحقيق: فخر الدِّين قباوة- محمَّد نديم فاضل، ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- 3- أبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري، الكشَّاف، تحرير: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوض وفتحي بد الرّحمن أحمد حجري، ط1، مكتبة العبيكات، الرِّياض- المملكة العربيّة السَّعوديّة، 1998م.
- 4- أبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري، المفصّل في علوم العربيّة، ط2، دار الجيل، بيروت- لبنان، (د. ت.).
- 5- أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمَّد الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط01، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 6- أبي عبَّاس محمَّد بن يزيد المبرِّد، البلاغة، تحقيق: رمضان عبد التّواب، ط02، مكتبة الثقافة، القاهرة، 1405هـ - 1985م.
- 7- أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفَّاجي الحلبي، سرّ الفصاحة، تح: علي قودة، ط01، مكتبة الخانجي بمصر، 1450هـ - 1932م.
- 8- أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصَّناعتين الكتابة والشَّعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط01، 1321هـ - 1959م، ج1.
- 9- أبي يعقوب بن يوسف ابن أبي بكر محمَّد بن علي السَّكاكي، مفتاح العلوم، ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1989م.

- 10- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي القرشي، القواعد الأساسية للغة العربية، (د. ط)، بيروت- لبنان، (د. ت).
- 11- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط01، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1365هـ - 1964م، ج25.
- 12- بحيري سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، سنة 1997م.
- 13- حسن عباس، النحو الوافي، ط04، دار المعارف، مصر، ج03.
- 14- الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني، كتاب المفردات في غريب القرآن، (د. ط).
- 15- حمداوي جميل، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2015م.
- 16- حميدة مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، ط01، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، 1991م.
- 17- الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ - 1998م، ج05.
- 18- الزين محمود أحمد، مفاتيح فهم الكلام العربي، دار الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، 2011م - 1432هـ.
- 19- سامي عمار، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، ط01، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2007م.
- 20- سعد محمود، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، (د. ط)، منتدى الأزيكية.
- 21- شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي - محي الدين الحنفي، الحاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، (د. ط)، - مكتبة الحقيقة -، تركيا، ج04.

- 22- صباح عبيد إسماعيل دراز، في البلاغة القرآنية - أسرار الفصل والوصل، ط01، مطبعة الأمانة، مصر، 1406هـ - 1586م.
- 23- عبد الحميد محمد جميل، بلاغة النَّص، (د. ط)، كلية الآداب، جامعة حلوان، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 1999م،
- 24- عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربيّة، ط01، منشورات جامعة خان يونس ينغاري، 1997م.
- 25- عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، (د. ط)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (د. ت).
- 26- عجمي موسى أسعد، نظام العطف في النحو والصرف، (ط 01)، 1432هـ - 2011م.
- 27- علي بن صالح عبد الفتاح الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة للبيان والمعاني والبدیع، مصطفى أمين، د. ط، دار المعارف، د. ت.
- 28- عيسى عبد العالي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربيّة، دط، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة.
- 29- القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ط01، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2002م - 1424هـ.
- 30- محمد الرّازي فخر الدّين، تفسير الفخر الرّازي المشتهر بالتّفكير الكبير ومفاتيح الغيب، ط01، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع، لبنان - بيروت، 1401هـ - 1981م، ج27.
- 31- محمد الطّاهر بن عاشور، (د. ط)، تفسير التّحرير والتّوير، دار التّونسيّة للنّشر، تونس، (د. ت)،
- 32- محمد جمال الدّين القاسمي، تفسير القاسمي المُسمّى محاسن التّأويل، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط01، 1276هـ - 1957هـ.

33- محمّد حماسة عبد اللّطيف، التّوابع في الجملة العربيّة، (د. ط)، مكتبة الزّهاء، 1991م.

34- محمّد علي زكي الصّباغ عن: أبي عثمان الجاحظ محمّد علي زكي صباغ، البلاغة الشعريّة في كتاب البيان والتّبيين، ط01، المكتبة العصرية بيّدا، بيروت، 1418هـ-1998م.

ثانيا: الرّسائل والأطاريح:

1- مطاوع حسين - التّرتوري حسين، حروف المعاني وأثرها في اختلاف الفقهاء، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه، فرع الفقه وأصوله، شعبة الأصول، جامعة أمّ القرى، كليّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة مكّة المكرّمة، 1402هـ - 1982م، إشراف: الأستاذ الدّكتور محمّد محمّد الخضروي.

ثالثا: المعاجم:

1- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، ط02، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

2- بابستي عزيزة فوال، معجم مفصّل في النّحو العربي، دار الكتب العلميّة، ط01، بيروت- لبنان، 1413هـ-1992.

3- سلمان علي جاسم، موسوعة معاني الحروف العربيّة، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، الأردن- عمان، 2003م.

4- لعطية مروان ، معجم المصطلحات النّحوية والصّرفيّة، دار البشائر.

5- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، (د. ط)، بيروت، مجلد 9.



فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات

1مقدّمة

الفصل الأوّل: العطف في الدّرس البلاغي قديما وحديثا

المبحث الأوّل: الدّرس البلاغي

6المطلب الأوّل: تعريف البلاغة

8المطلب الثاني: الفرق بين البلاغة والفصاحة

10المطلب الثالث: نشأة البلاغة

12المطلب الرابع: البلاغة الكلاسيكية والجديدة

13المطلب الخامس: علاقة البلاغة بالعلوم

المبحث الثاني: أسلوب العطف

17المطلب الأوّل: تعريف العطف

18المطلب الثاني: أنواع العطف

19المطلب الثالث: معاني حروف العطف وأحكامها

الفصل الثاني: الأثر البلاغي لأساليب العطف في سورة الزخرف

المبحث الأول: بلاغة العطف في الكلمة

المطلب الأول: بلاغة العطف بـ " الواو " 36

المطلب الثاني: بلاغة العطف بـ " الفاء " 42

المبحث الثاني: بلاغة العطف في التراكيب

المطلب الأول: بلاغة العطف بـ " الواو " 45

المطلب الثاني: بلاغة العطف بـ " الفاء " 50

المطلب الثالث: بلاغة العطف بـ " ثمّ " 54

خاتمة..... 57

قائمة المصادر والمراجع..... 60

فهرس المحتويات..... 65

ملخص:

عالج هذا الموضوع أسلوب العطف في القرآن الكريم، من خلال اختيار نموذج محدد وهو سورة الزخرف، كما قصدنا في بحثنا استخراج الآثار البلاغية من النص القرآني التي يمكن أن تؤديها الآيات التي تتضمن أسلوب العطف، وقد قمنا برصد المواضع التي تلتقي فيها المفردات ويتبع فيها المعطوف المعطوف عليه وكذلك تناسق التراكيب الموظفة في القرآن ضمن السياق البلاغي بنظرة وصفية تحليلية، وسعينا إلى اكتشاف مختلف الدلالات التي يخلقها العطف داخل النص القرآني الذي تصل آثاره البلاغية حد الإعجاز.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة- العطف- الأثر البلاغي.

Abstract :

The topic dealt with the conjunction style in the Holy Qura'an by choosing a specific model, which is Surat Al- Zukhruf, we also intended in our research to extract the rhetorical effects from the Qur'anic text that we can be performed by verses that include the conjunction style, we monitored the places where the words meet and the conjunction is followed by the conjunction, as well as the consistency, the structures used in the Qur'an within the rhetorical context with a descriptive and analytical view, and we sought to discover the various connotation that the conjunction creates within the Qur'anic text, whose rhetorical effects reach the point of miraculous.

Keywords:

Rhetorical- Conjunction- Rhetorical effect.